أحمد محرم



ديوان مجد الإسلام

أو

الإلياذة الإسلامية

أشرف على تصحيحه ومراجعته

محمد ابراهيم الجيوشي

١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م

مكتبة دار العروبة
٤٩ شارع الجمهورية القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنسانٌ بَرَأَ اللهُ أصولَهُ — فى الدهر الأوّل — من أكرم مَعادنِ الإنسانية .
ثمّ اختارهُ — بسبب ذلك — لحملِ أكمل رسالات السماءِ إلى أمم الأرض ، فأدّى الأمانة بأشرفِ ما عرفَ تاريخُ الإنسانية من براعةٍ فى حفظها ، ولباقةٍ فى حُسنِ عَرضها ، وكياسةٍ فى إشراكِ الصفوة المختارة من أبناء الأُمم فى تَذوُّق حلاوتها ، وتوضيح جمالها للناظرين .

واندفعَتْ سفينة الزمن فى بحرِ الحياةِ اللُّجِّىِّ ، حاملةً هذه الأمانةَ من الجيل المثالى إلى جيل تلاه ، ثمّ إلى جيلٍ ثالثٍ قام بَعدهما ، حتى صارت الأرضُ غيرَ الأرض ، فكان الحقُّ والباطلُ فى صراع ، والخيرُ والشرُّ فى عِراك . وكثُرَ أهلُ الحقِّ والخير الذين تخلّقوا — فى مختلف أقطار الشرق والغرب — بأخلاق ذلك الإنسان الكريم المعدِن ، فاضطُرَّ الباطلُ إلى أن يتحوّلَ عن مواجهة الحقّ بالصراع السافر ، واستسلم له بالتقية والمراء والرياء والخديعة ، حتى توصّل — مع الشيطان — إلى كفِّ يدِ ذلك الإنسان الكريم المعدِن عنِ الإمساك بدَفةِ السفينة ، فانتقلَتِ القيادةُ والتوجيه إلى يد الباطلِ المُخادع ، وتحوّلَتِ السفينة عن طريقها ، ثمّ عن أهدافها ، منذ ألف سنة وأكثر . وكان الباطلُ فى خلال ذلك يُشوِّهُ سيرةَ ذلك الإنسان ، ويدسُّ فى تاريخه مالم يكن منه ، ويفسد عليه حتى عقيدته فى نفسه ، مع ماهو قائمٌ به من إضعاف إيمان الأمم به ، إلى أن استسلم الإنسانُ الكريم المعدِن لليأس والعزلة ، ومُنِيَ بالضعف والشّلَل ،

وانحدر فى هاوية الفاقة والخذلان ، ونسى أمانته فكانت مدفونة تحت الخرابة التى انضوى إليها ، وانطوى بين أنقاضها ، ولم يعد يعرف أن له رسالةً بُعث بها من السماء إلى أهل الأرض ، ولا أنه صاحب تلك الأمانة التى سعِدَت بها الانسانية فى أزهر عصورها ، وآلت بعد ذلك إلى أن تُدفن تحت الأنقاض فتكون مجهولة حتى من وارثها الذى ألِفَ العيشَ بين أنقاض الخرائب .

* * *

تلك هى صورة الناشئ العربىّ التى كانت فى عقلى ، وقلبى ، وأعماقِ نفسى ، قبل أكثر من ستين عاماً ، وكنتُ حينئذٍ فى دراستى الثانوية بدمشق ، بين سنتى ١٣٢٠ و ١٣٢٣ ، مع لداتى من صفوة من عرفتهم من فتيان العروبة والإسلام ، وفى طليعتهم الشهيدان السعيدان : الأمير عارف سعيد الشهابى ، والدكتور صالح قنباز ، والفقيدان العزيزان الدكتور صلاح الدين القاسمى ، وزكى الخطيب .

هى صورةُ العُروبة والإسلام وقد تنكَّر لهما أهلوهما ، بما شوَّهَتْهُ الشعوبية من تاريخهما الأمجد ، وعلمهما الخالد ، فى آفاق الأرض المعمورة المعروفة فى ذلك الحين

هى صورةُ أمّى وأمّتى ،

صورة وطنى ولغتى ،

إنها صورتى يومئذٍ ، وصورة الجيل الذى أنا منه

هى صورة شباب فى دنيا العروبة والإسلام لا يعرفون مَن هم ، ولا ممَّن هم ، ولا رسالتهم إلى الإنسانية ، ولا المصير الذى تتوجَّه إليه سفينتهم التائهة فى طريقها المجهول ، وهى تنحطُّ وترتفع بين الأمواج فى أوقيانوس الحياة ...

مَن نحن ؟

ممَّن نحن ؟

مع مَن نحن ؟

ما هى رسالتنا فى الحياة ؟

سلسلةٌ من الأسئلة تساءلَ بها عقلى وقلبى ، واضطربَت فى أعماق نفسى ، وذاكرتُ بها لِداتى وأنا فى دراستى الثانوية قبل أكثر من ستين سنة ، واستفتيتُ أشياخى ، وعلى رأسهم الغريب الصابر الدائب الحكيم الشيخ طاهر الجزائرىّ ، الذى وصفته يومئذٍ ببيانى الصبيانىّ :

بَينَ فَوْدَيه للمـــدارِكِ عُشٌّ
صَمتُهُ إفهامْ
وبماضـــيه للحقائقِ نَقشٌ
كَذَّبَ الأوهامْ
ولآتيـــهِ فى التّرائبِ عَرشٌ
جُندُهُ الأيامْ
كان - والكلُّ فى ظلامٍ وظُلمٍ -
ناظرَ الكلِّ ، فاكِراً ، فى وُجومِ
صاعداً للذُّرَى بعَـــزمٍ وحزمٍ
مُشرِقاً مُغرِباً كهٰذى النجـــومِ
تشهدُ الأقوامْ
خَطَّ فى العرب للفضيلةِ رَوضـــاً
نَبتُهُ الكِمُّ فى رجال النهـــوضِ
طيرُهُ الحقُّ فى غُصـــونِ القَريضِ
قامَ للمجدِ والفضـــائلُ ترضى
أنَّها أعلامْ
سايرَ العلمَ منـــذُ كان قديماً
باحثاً فى العصـــور والأجيال
دارساً ســـيرةَ العقولِ مُديماً

فى القلوب الإيمـــانَ والأميالِ
فـكرُهُ إلهام
نَدْوةُ البحث والمدارسُ شــيدَت
والوَرَى مِهذار
ناصعُ الحقِّ والعــلومُ أُشِيعَتْ
إذ غزا الأخطارْ
كُتَلُ الضوء منـــذ شبَّ أُريقَتْ
فى بلاد الشام

من هذا الشيخ الحكيم ، عرفتُ عُروبتى وإسلامى .

منه عرفتُ أنَّ المعدِنَ الصَّدىء الآن ، الذى برأ الله منه فى الدهر الأول أصولَ العروبة ثمّ تخيَّرَها ظئراً للإسلام ، إنما هو معدِنٌ كريم لم يَبرَإ الله أمةً فى الأرض تُدانيهِ فى أصالته ، وسلامته ، وصلابته ، وعظيم استعدادِهِ للحقِّ والخير .

وكان من منهاج الدراسة فى مدارس الحكومة العثمانية يومئذ تعليمُ اللغة الفارسية ، وكنّا نتلقى من أستاذنا الفارسى كتاب « كلستان » الخالد لمصلح الدين الشيخ سعدى الشيرازى (المتوفى سنة ٦٩١) تلاوةً وفهماً وحفظاً ، وكان المدرس إذا رآنا معجَبين بالبيان المعجز المنثور فى كتاب الشيخ سعدى يحدِّثنا عن البيان المعجز المنظوم فى كتاب (الشاهنامه) لأبى القاسم الحسن بن إسحاق الفردوسىِّ الطوسى (٣٢٠ — ٤١١) ، وكيف دأب فى صباه على قراءة كتاب (الباستان) فى تاريخ الفرس وأساطيرهم حتى كاد يستظهره لكثرة ما ردّد من قراءته ، وكيف كان يختلف إلى بقايا دهاقين المجوس ليستمعَ منهم بلذة وشغف قصص الأكاسرة وعَبَدَة النار ، والمبالغات الإيرانية فى سردها والافتخار بها . ثمّ قصد إلى قصر الإمارة فى غَزْنة ، واتصل بالعسجدى والفرخى شاعرى يمين

الدولة السلطان محمود بن سُبُكْتِين ، فبرهن لها على بلاغته وقوّته فى نظم الشعر الفارسى ، وعلى سعة معرفته بتاريخ إيران القديم . واتصل خبره بيمين الدولة فأنزله فى جناح من قصره ، وندبه لنظم أمجاد الفرس ، فسلخ ثلاثين عاماً فى قصر الإمارة بغزنة ، وفى قرية رزان من أعمال طوس ، وهو ينظم (الشاهنامة) حتى بلغتْ ستين ألف بيت من الشعر الذى يعدُّ بالفارسية من السهل الممتنع ، ولو شاء بليغ أن ينثر نظمه لما وجد فى الألفاظ ما يستعمله خيراً من الألفاظ التى استعملها الفردوسى فى أبيات الشاهنامة .

لقد كنت أقول فى نفسى وأنا أسمع مبالغة أستاذنا الفارسى فى وصف الشاهنامة والاشادة بعظمتها : أليس فى دنيا العروبة والإسلام من يقوم للعروبة والإسلام بمثل هذا العمل الأدبى الكبير ، ليتعرف شبابنا إلى أكمل قومية برأها الله فى الدهر الأول ، وأعدها للقيام بأكمل رسالات الله إلى خلقه ؟

أيكون للمجوسية وظلمات الظلم كتاب يخلدها ، ولا يكون للفطرة السليمة الكاملة ، ورسالة الله العظمى ، من يدل عليهما ، ويدفع الناس فى طريقهما .

وذهبت إلى بيروت لأكمل فيها السنة الأخيرة من دراستى الثانوية ، وكانت بيروت من ميادين الطباعة العربية والدراسة العصرية والادب ، غير أن الاستعمار الثقافى الأجنبى أفسد على اللبنانيين واللبنانيات ألسنتهم ، وقد التحق بمدرستنا شاب من الأسرة الشهابية اللبنانية — كان قبل ذلك فى مدرسة عين طورة ، وحذق فيها الفرنسية ، وصار ينشد فيها من الشعر ما لا يقل به عن أى فرنسى مثقف فى مثل سنه ، وكان فى يوم الأحد إذا ارتفع العلم الفرنسى على سارية القنصلية الفرنسية يأخذ بيدى ويضعها على قلبه ويقول لى : ألا تشعر بخفقان قلبى لتموجات هذا العلم ؟ فترجع ذاكرتى إلى أسلاف هذا الأمير الشهابى الذين انتقلوا من جزيرة العرب فى أزمنة الفتوح الأولى ، وكانت لهم مواقف

مشرفة فى تشييد أمجاد العروبة والإسلام ؛ ثم ينحط سَليلُهم فى مدرسة عين طورة إلى هذه الهاوية السحيقة من المسخ والانسلاخ ، مع ذكائه وبراعته وقابليته للسبق فى أى الطريقين يسلكهما من الخير والشر .

وانتقلتُ إلى القسطنطينية فى نهاية تلك السنة ، والتحقت بكليتى الحقوق والآداب معاً فى العاصمة العثمانية ، وتعرفتُ إلى شباب العرب من أبناء سوريا والعراق وسائر الأقطار العربية ممن يطلبون العلم هناك أو يجرون وراء الوظائف ، فرأيتهم يرطنون فيما بينهم بالتركية ، ويكتبون بالتركية ، ويتأدبون بالأدب التركى ، ولا هَمَّ لهم إلا أن يتجمَّلوا للسادة الأتراك ، ليتوظفوا فى وظيفة يعيشون منها ، ويمضون على ذلك إلى أن يموتوا . . .

إن لهذه المناظر حكايات طويلة ، وكانت هى الحاملة على تأسيس (جمعية النهضة العربية) فى القسطنطينية من يوم الإثنين ٨ ذى القعدة سنة ١٣٢٤ ، وهى النواة الأولى التى زرعت فى صميم بيئة الشباب العربى ليتعرف إلى عروبته وأمجاد إسلامه .

وفى تلك الحقبة ظهرت ترجمة (الإلياذة) اليونانية نظماً بقلم سليمان البستانى ، فجددت فى نفسى لواعج ذكرياتى عن (الشاهنامة) ، وصار من رسالتى فى الحياة أن أرقب الشاعر المؤمن بالعروبة والإسلام ، لأحرك فى قلبه الشعور بحاجتنا نحن العرب المسلمين إلى من يعرِّفنا بمعدِن عروبتنا الكريم ، ويجدِّد لنا إيماننا برسالتها العظمى وما كان للإسلام من أمجاد لا نظير لها فى تاريخ الإنسانية .

ولما توطنتُ مصر الحبيبة ، وتأسستْ جمعية الشبان المسلمين ، جمعنا مجلس من مجالسها بأمير الشعراء شوقى ، وكان فى هذه الجلسة الأستاذ عبد الحميد سعيد والأستاذ محمد أحمد الغمراوى والدكتور يحيى الدرديرى وغيرهم ، فانتهزتُ هذه الفرصة وتحدثت عن الشاهنامة والإلياذة ، واقترحت على أمير الشعراء أن يكون أعظم أحداث إمارته فى الشعر إهداء مثل هذه الهدية إلى العروبة والإسلام وأدبهما

وعظمتهما من ماضيهما إلى حاضرهما ومستقبلهما . واستمع شوقى إلى هذا الحديث ، ولم يَعِدْ ولم يرفض ، ثم زاره وفد فى منزله لتجديد هذا الحديث معه ، فبقى عند موقفه من الصمت والابتسام ، ثم ظهر بعد ذلك كتيبه عن دول الإسلام ، ولعله كان من أثر هذا الاقتراح ، لكن المطلوب كان أعظم من ذلك ، وقديماً قيل : « إذا عظم المطلوب قلّ المساعد » .

كان حديثى فى صدر هذه الكلمة عن طفولتى والجوّ الذى كنت أعيش فيه ، ومن ذكريات طفولتى أنى كنت شديد الإعجاب بشعر الأستاذ أحمد محرَّم ، وعندى الآن من آثار ذلك العهد دفاتر كنت أدوّن فيها ما أختاره لنفسى من جيد المنظوم والمنثور ، ومنها قصائد هذا الشاعر العظيم .

فلما عقد الله الصلة والمحبة بينى وبينه وأنا فى مصر ، وجّهتُ إليه هذا الاقتراح وقلتُ له : لعلّ الله سبحانه قد ادَّخر لك هذه المهمة واختارك لها ، لأنك أقرب شعرائنا إلى إخلاص القول والعمل ، وأكثرهم توخيا لمرضاته . فاستجاب رحمه الله لهذه الدعوة ، وجاشت نفسه بهذه الفرائد الغُرّ من (ديوان مجد الإسلام) ، فأخذتُ أنشر أوائلها على الناس من صحيفة الفتح ، ثم نشرت منها قطعًا فى مجلة الأزهر لما كنت أشرف على تحريرها .

إن أمجاد العروبة والإسلام أعظم من أن يحيط بها شاعر ، ولا سيما وأكثرنا لا يزالون متأثرين بما شوّهَتِ الشعوبية من تاريخنا ، ومع ذلك كان (ديوان مجد الإسلام) أعظم ماظهر للناس حتى الآن مجموعًا فى كتاب واحد من ومضات هذه الأمجاد ، وستتمتع به نفوس محبّي الأدب الرفيع والنظم البليغ أزمانا وأزمانا ، إلى أن يوجد الشاعر الذى يكتشف سرّ الله فى اختياره العربية لغة لتنزيله ، والعروبة بيئة لأكمل رسله ، وأهلها أصحاباً له وأعوانًا على حمل رسالته إلى آفاق آسيا وإفريقية ثمّ إلى أوربا .

أنا مؤمن من صميم قلبي أن رسالة العروبة والإسلام جديرة بأن تستقبل من مظاهر العظمة فى تهذيب الإنسانية أبهر وأزهر مما كان لها فى الماضى ، ولن تستوفىَ هذه الرسالةُ مهمتها إلا بإرجاع الإنسانية كلها إلى نظام الفطرة الطاهرة ، وذلك متوقف على شيء واحد ، هو أن يعرف العرب والمسلمون من هم ومَّن هم ، وما هى رسالتهم فى الحياة . ولن يكون ذلك إلا إذا بنوا مناهج تعليمهم ، وأسس ثقافتهم ، ومعالم أدبهم ، على هذه المعرفة والإيمان بلوازمها ، وتعميم طريقهم نحو أهدافها . ورأس ذلك وعموده تصحيح تاريخ العروبة والإسلام ، وتجريده مما دُسَّ فيه .

ولعل (ديوان مجد الاسلام) وهذه الدعوة التى أقدّمها بين يديه هى الخطوة الأولى إلى هذه الأمنية ، والخطوات التالية لها هى استجابتك أنت أيها القارىء العربى المسلم لذلك ، فليأخذ كل منَّا رايةَ هذه الأمجاد بيده اليمنى ، ولنتقدم بها إلى الأمام على بركة الله ، والله أكبر ولله الحمد ؟

محبُّ الدين الخطيب

روضة الفسطاط
٢٠ المحرم ١٣٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من يطالع الصحف والمجلات المصرية منذ ثلاثين عاما ــ خاصة المعنية بالشئون الإسلامية والقضايا الأدبية ـ مثل الفتح ـ والبلاغ وأبولو ، يجد آثار فرحة غامرة تملأ جوانب هذه الصحف، ويتناقلها كتابها وأدباؤها ابتهاجا بالبشرى التى أعلنها صاحب الفتح عن اضطلاع شاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم بتسجيل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام .

واتسع مجال هذه الفرحة حتى شمل أنحاء كثيرة من العالم الإسلامى فى الهند والعراق أن هيأ الله للإسلام شاعراً مثل أحمد محرم يسجل مفاخره ويشيد بأمجاده .

كان ذلك منذ ثلاثين عاما يوم أن كان الديوان فكرة وليدة لم تكد تطلع على الناس إلا تباشيرها الأولى .

ولكن متى نشأت هذه الفكرة ؟ ومن صاحبها الأول الذى أوحى لمحرم بها ؟

إن أحمد محرم يتولى بنفسه الإجابة عن هذين السؤالين بما عثرنا عليه فى أوراقه الخاصة . تحت عنوان الفكرة الأولى فى نظم الديوان ، وهو كتاب من السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح بعث به إلى الشاعر يقترح عليه فكرة الديوان، ويدعوه إلى الاضطلاع به وكان ذلك فى ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ .

وهذا هو نص الخطاب :

سيدى الأستاذ الجليل مفخرة البيان العربى وشاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإن من دلائل رضاء الله عز وجل عن حركة الجهاد الضئيلة ، لوقف هذا الطغيان على الفضائل انشراح

صدركم لتأييده ، وتصدقكم ببعض الوقت للوقوف فى صفوفه ، ورب فارس واحد خير من ألف .

وكنت هممت غير مرة أن أكتب إليكم أقترح عليكم مشروعا كنا نحاول إقناع شوقى بك رحمه الله به ، ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معانى الجهاد الأخرى ، وهذا المشروع هو إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامى الخلقية والعمرانية والسياسية والإصلاحية . والحربية الخ ونظم كل مفخرة منها فى قطعة خالدة تنقش فى أفئدة الشباب ، فإذا ذخر أدبنا بكثير من هذه القطع ، على اختلاف أوزانها وقوافيها أمكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع وتأليف إلياذة إسلامية من مجموعها .

أليس من العار أن يكون للفرس الذين حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطى فيه البيان على العيوب ويلون ذا الوجهة منها بألوان زاهية ويسلط على ضئيل الخير منها شعاعا قويا مكبراً بأعظم المكبرات فتكون من ذلك «شاهنامة الفردوسى » وأن يكون لليونان زمن وثنيتهم وأوهامهم الصبيانية ديوان مفاخر كالإلياذة تتغنى بها الإنسانية إلى يوم الناس هذا ، والإسلام الذى لم تفتح الإنسانية عينيها على أعلى منه رتبة ، وأعظم منه محامد يجتهد مؤرخوه فى تشويه صفحاته والحط من قدر رجاله ، لأن الذين دونوا تاريخ الإسلام كانوا أحد رجلين،رجل جاء بعد سقوط دولة فتقرب إلى رجال الدولة الجديدة بتسوىء محاسن الدولة القديمة ، ورجل اتخذ من الشموس الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى مثلا أعلى ، فكل قمر من أقمار العرب مذموم عنده ، موصوف بالضآلة والنقص . لأنه لا يراه إلا على نور تلك الشموس التى هى فوق الإنسانية ، ولا تقاس مواهب البشر بمواهبهم : بل إن عثمان وتضحياته وأخلاقه الملائكية ، محيت فضائلها من أدمغة المسلمين لسوء بيان المؤرخين ، ومعاوية الذى تتمنى أية أمة من عظام الأمم أن يكون لها رجل يتصف بعشر مواهبه وفضائله صرنا نسمع

خدمه من أقذر الناس، وأحط السوقة، والأمين الذى كان يعدُّ من أفصح قريش فى زمانه رسموا له فى أذهان الناس صورة قبيحة؛ بل يزيد الذى كان كبار الصحابة يجاهدون تحت قيادته طائعين مختارين لصقت به أكاذيب تقرب الكثيرون بها إلى الله جهلا وتعصباً.

أقول هذا وأنا علوىّ، لكنى أخاف أن يقوض المسلمون صروح فضائلهم وأن يهدموا قلاعا هى من دواعى الفخر. بينما أبناؤنا يتعلمون من الأوربيين وصنائعهم تمجيد رجال لو كشف الغطاء عن تاريخهم الحقيق لشممنا نتنه.

مَنْ مِنْ شبابنا يعرف مسلمة بن عبد الملك كأنه معاصر له، ويعرف قتيبة ابن مسلم كأنه مجاهد فى جيشه؟

إن الذى قصر فيه المؤرخون لا يستطيع أن يستدركه إلا الشعراء وأكثر شعرائنا مشغولون بجمال المرأة. ومصروفة عقولهم عن الخير، وهم يسرقون من دواوين شعراء الإنجليز. فليس عندهم وقت لمراجعة تاريخ العرب والإسلام. وقراءة ما بين سطوره واستنباط المفاخر من أصعب مواقفه التى قد يخيل إلى قصير النظر من الناس أنها مواقف اندحار، مع أن ما يبذل فيها من جهاد العباقرة قد يكون أعظم وأمجد مما يبذل يوم تكون الرياح مؤاتية والنجم فى طالع السعد.

أكثرت عليكم. ولكنى لم أجد قلباً أفضى إليه ببعض ما فى قلبى غير قلبك وقد يكون أن اختصك الله بهذا الفضل فألهمنى أن أشغل هذه الصفحات وهذه الدقائق بالإفاضة إليك به.

والسلام عليكم ورحمة الله.

٢

كان ذلك منذ ثلاثين عاما حينما اتضحت معالم الطريق لإقامة ذلك البناء الأدبى الشامخ، وأخذ محرم يعلن على العالم الإسلامى بواكير هذا العمل الفنى الضخم.

ومضى محرم فى طريقه وهو واضع نصب عينيه أن يقدم خلاصة نقيه للتاريخ الإسلامى فى قالب شعرى مكتمل الفن واضح الأداء قوى التعبير ، حتى يلفت الشباب إلى مفاخر تاريخهم وعظمة آبائهم و يدفع عنهم عقدة النقص التى جعلتهم ينظرون إلى آثار الأمم الأخرى كما ينظر الأقزام إلى العمالقة .

وحشد محرم كل طاقاته الفنية وعكف على التاريخ الإسلامى يستخلص حقائقه ويستوعب مفاخره و يسجلها فنا عاليا يسنده صدق الواقع وتؤكده حقائق التاريخ وقد تهيأ له عاملان رئيسيان كان لهما أكبر الأثر فى نجاحه و بلوغه بالفكرة غايتها المنشودة وأملها المرجو .

أولهما : شاعرية أصيلة ناضجة وقوة فنية قادرة على استيعاب الحقائق وتمثل التجارب الإنسانية تمثلا حيًّا يعيش فى ظلالها و ينفعل بها .

وثانيهما : إخلاص شـديد و إيمان عميق وحب جارف واقتناع لاحدّ له بالإسلام ومبادئه و نصاعة تاريخه و بطولات رجاله .

و بفضل هذين العاملين استطاع محرم أن يمضى فى عمله الأدبى الشاق لايحفل بالعقبات ولا يلقى بالا إلى المصاعب وأن يعرض الروح الإسلامية عرضاً فيه صدق الواقع ونقاء الفن وجمال الصورة .

وقد تحدث أحمد زكى أبو شادى فى هذا المعنى فقال « طبيعة أحمد محرم الأدبية طبيعة فنية ناضجه . فتاريخه ليس مجرد تاريخ إنمـا هو عرض فنى شائق للروح الإسلامية العالية التى فتحت الأقطار ونشرت العدل واستوعبت الثقافة ، ودعمت الحضارة ، وزادتها تأنقا على تأنق وليس كل شاعر قدير كفؤا لتسجيل ذلك تسجيلا زاهياً هو اللباب النضر الحىّ ، وليس القشور الجافة والتواريخ الميتة.

هذا الشاعر العظيم الإيمان العظيم الشمم يمثل بأدبه آخر حلقة من التطور الإسلامى الفنى ، فهو على شيخوخته فى قوة الشباب الذهنية ، وفى توثب الشباب الجرىء ، وهو هو الشاعر الإسلامى الجبار الذى يستطيع بمواهبه أن ينصف روح

الإسلام وسيرته ، وأن يكون القدوة لغيره من الفنانين والمصورين . والنحاتين وســواهم لتخليد روح الاسلام الفتية فى آثارهم كما يخلدها هو فى شعره لتربية الجيل الناشئ والأجيال التالية تربية إسلامية عالية . . .

مجلة الفتح ٢٦ من شوال سنة ١٣٥٣

٣

وكان المنتظر أن نجد هذا العمل تشجيعاً من الدولة . وتأييداً من الهيئات المعنية بالأمور الثقافية . وأن تقدم للشاعر من العون المادى مايعينه على المضى فى سبيله ، و ييسر له التفرغ لعمله هذا غير أن الواقع كان غير هذا ، ولولا همة محرم العالية وقدرته على الصمود لشغلته مطالب الحياة وقعدت به عن الوصول إلى نهاية الطريق . وتعالت صيحات الـكتاب والأدباء تدعو إلى أن توفر الدولة أو الهيئات الثقافية للشاعر ما يساعده على المضى فى طريقه إلا أن ذلك لم يجد أذنا صاغية .

فبدأ الشاعر يدق أبواب المسئولين و يطلب إليهم القيام بطبع الديوان . سواء عن طريق المقابلات الشخصية أو الخطابات حتى يمكن أن يطلع عليه الشباب ويراه المثقفون مادامت قد عجزت موارده المادية عن تحقيق هذه الغاية ، ويحدثنا محرم فى أوراقه . أنه اتجه إلى القصر الملـكى بعد أن أتم الجزء الأول من الديوان يعرض عليه فـكرة طبعه حرصا على تحقيق الفائدة منه ، وأن رئيس الديوان بعث إليه بخطاب بعد عام يخبره أن الديوان أحيل إلى وزارة المعارف لتحقيق رغبة الشاعر فى طبعه وأن عليه أن يتصل بوزير المعارف ، وفى لقاء بينه و بين وزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل ينمو الأمل فى نفس محرم ويوشك أن يتحقق له ما يريد ، ولـكن لم تـكد تنتهى حرارة اللقاء حتى يلف الصمت الديوان ، و يبدأ الأمل يذوى ، ويخرج هيكل من الوزارة ، ويظل الديوان

حبيس الأدراج ؛ ثم يعود مصحوبا بالاعتذار عن طبعه إلى الشاعر ويقدم محرم بعد ذلك الديوان إلى وزارة الأوقاف ثم إلى مشيخة الأزهر فلم يكن حظه معهما خيراً من سابقهما .

ثم يقرأ أن مجمع اللغة العربية يعتزم القيام بتشجيع المؤلفات الأدبية فيبعث بخطاب إلى رئيس المجمع ـ محمد توفيق رفعت ـ يعرض عليه فكرة طبع الديوان فيرد عليه بنص المشروع الذى وضعه المجمع وهو قاصر على منح جوائز لما طبع للمتازين فى خلال عامين ، أو إقامة مباراة تعقد بين الأدباء فى موضوع تعينه اللجنة فى النقد والأدب والتاريخ .

وتتابعت محاولات أصدقاء محرم ومحبى أدبه ترتاد كل طريق عساها أن توفق إلى إخراج هذا الديوان فلم يقدر لواحدة منها النجاح . وكانت أمنية الشاعر أن يرى عمله هذا بين يدى الناس قبل أن تودعه الحياة إلا أن الله لم يرد ذلك ، وودع الشاعر الحياة فى يونية سنة ١٩٤٥ ولما يزل الديوان حبيس المخطوطات .

٤

وبعد وفاة الشاعر قام المرحوم ابراهيم نعيم أحد تلامذته والمقربين إليه بجمع تراثه ومحاولة عرضه على الهيئات الثقافية والإسلامية مجدداً المحاولة عساه أن يحقق لأستاذه بعد موته ما لم يتحقق له فى حياته وكل ما استطاعه أن قدم نماذج منه نشرت فى مجلة الرسالة والأزهر على فترات متتابعة ، وقد علمت فى أثناء بحثى عن آثار محرم أن الأستاذ نعيم قدم نسخة من الديوان إلى المؤتمر الإسلامى، وحاولت جهدى أن أعثر عليها فلم أوفق .

ثم التقيت بأحد أبناء الشاعر الأستاذ سليمان محرم فوجدت عنده الجزء الثانى والثالث من المخطوط وسجلا أثبت فيه الشاعر خطوات الديوان من يوم أن بدأ فكرة إلى أن صار عملا فنيا مكتملا ، وكذلك المحاولات التى قام بها لطبعه

وما كتبه الأدباء فى الصحف والمجلات حول موقف الهيئات من الديوان وقيمته الفنية .

ثم عثرت بعد هذا على نسخة مصورة من الديوان على « ميكرو فلم » فى دار الـكتب رقم (٣٧٤) وتفيد البيانات المسجلة عليه أن تصويره تم سنة ١٩٥٢ ثم قامت دار الـكتب بتصوير الديوان فى نسخة من حجمه العادى تسهل قراءته وتوجد النسخة المصورة تحت رقم (٢٩٤٦٨ ب) وفى العام الماضى تجدد الأمل فى طبع ديوان مجد الإسلام وبدئت محاولة مع وزارة الثقافة والارشاد القومى وقدم تراث الشاعر إلى إدارة إحياء التراث بالوزارة فى يوليو سنة ١٩٦٢ ، وبعد مضى سبعة أشهر لم تصل الإدارة إلى نقطة حاسمة فى سبيل البدء فى إخراج التراث فاتجه ابن الشاعر الأستاذ محمود محرم إلى دار العروبة واتفق معها على طبع ديوان مجد الإسلام . وأذن الله لهذا الأمل أن يتحقق بعد أن ظل حائراً ثلاثين عاما .

٥

وكان اعتمادنا فى مراجعة الديوان على نسخة مصورة منقولة من نسخة دار الـكتب ومقابلتها على مخطوط بيد الشاعر نفسه للأجزاء الثلاثة الأولى من الديوان أما الجزء الرابع فلم نعثر على مخطوط له واضطررنا إلى الاكتفاء بنسخته المصورة .

وقد وجدتْ بعض اختلافات طفيفة فى ترتيب القصائد وتتابع بعض أبياتها أشرنا إليها فى مواضعها .

ونحب أن نشير إلى أن النسخة المصورة مكتوب على غلافها ما يشير إلى أن الشرح والتعليق من عمل الأستاذ ابراهيم نعيم . إلا أن الأجزاء المخطوطة التى عثرنا عليها بيد الشاعر نفسه تفيد أن الأصل والشرح والتعليق من عمل الشاعر وجهده لا جهد سواه .

٥

قسم الشاعر ديوانه مجد الإسلام إلى أربعة أجزاء تجد فى الصحيفة الأولى من كل جزء آيات تحث على الجهاد وفى الصحيفة الثانية كلمات لبعض أئمة التابعين فى علم المغازى والسير .

وتحدث الشاعر فى الجزء الأول عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة ثم عن هجرته ثم عن استقراره بالمدينة ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وموقفه من اليهود والمنافقين ثم تحدث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث و بطولات . استغرق بقية الجزء الأول والجزأين الثانى والثالث .

وفى الجزء الرابع : تحدث عن الوفود التى وفدت على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تحدث عن الكتب والرسل التى بعث بها إلى الملوك والحكام .

ثم تحدث بعد ذلك عن السرايا التى أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وختمها بآخر عمل قام به النبى صلى الله عليه وسلم قبل لحاقه بالرفيق الأعلى وهو إرساله إسامة على رأس جيش إلى غزو بلاد الروم .

٦

أطلق كثير من الكتاب على ديوان مجد الإسلام اسم . . الإلياذة الإسلامية وتعرض بعض الكاتبين المتحمسين لموازنات ومقارنات بين إلياذة هو ميروس والإلياذة الإسلامية ، غير أن الكتابة على هذا النحو لم تكن قائمة على أساس سليم ؛ ذلك أن محرما لم يقصد بعمله هذا أن يكتب إلياذة كإلياذة هو ميروس تتوفر لها الصفات الفنية التى تتوافر فى الإلياذة بمعناها المفهوم عند الأور بيين .

و إنما أراد محرم أن يسجل أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام فى لوحات فنية رائعة تكون نماذج ومثلا للشباب، يعرف عن طريقها مجد آبائه ، وبطولات أجداده ، فإن جاء بعد ذلك من أطلق على هذا العمل اسم الإلياذة فليس معنى

هذا أن نتطلب من محرم فى ديوانه مجد الإسلام ما نتطلبه فى الإلياذة من خصائص فنية .

والإلياذة تعتمد على الأسطورة والبطولة ، و يسمح صاحبها لخياله أن يضفى على شخصيات أبطاله ما يشاء من صفات تجعلهم فى مصاف الآلهة ، ولا يهمه بعد ذلك أن يلتقى مع حقائق الواقع أو يصادمها ،مادامت قد أكتملت له صورته الفنية .

أما محرم وإن اعتمد فى ديوانه على البطولة ، فإنه قد التزم صدق التاريخ وتقيد بحقائقه ، وكان حريصا كل الحرص على أن يعرض أبطاله فى إطار مضىء من صدق الأحداث وحقائق التاريخ ، وكان نصب عينيه دائما أنه يجول فى ميدان يحتل من قلوب الملايين وعقولهم مكان التقديس والإجلال ، ولعل هذا هو السر فى أن محرما يأتى بين يدى كل قصيدة بمقدمة نثرية تتناول الخطوط العريضة لأفكارها .

و بعد . فهذا هو ديوان مجد الإسلام وتلك هى قصته التى استغرقت أحداثها ثلاثين عاما أوجزناها فى هذه السطور أما قيمة الديوان الفنية فمن حق الأدباء والباحثين فى العالم العربى والإسلامى أن يعرضوها على موازينهم الأدبية وحسبنا أن ألقينا الضوء على المراحل التى سار فيها الديوان حتى أصبح بين أيديهم مادة للبحث والدرس .

و بالله التوفيق

محمد إبراهيم الجيوشى

حدائق القبة ـ القاهرة فى مساء الأحد ١٠ من المحرم ١٣٨٣ هـ
الموافق ٢ من يونيو ١٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهون ﴾ .

* * *

﴿ يا أيها النبي جاهِد الكفَّار والمنافقين واغلُظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ .

* * *

﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسِهم أعظمُ درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ .

* * *

﴿ انفروا خفافا وثِقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسِكم فى سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

* * *

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقًّا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ﴾ .

* * *

﴿ ولا تحسبَنَّ الذين قُتِلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزَقون ﴾ .

فى علم المغازى خيرُ الدُنيا والآخرة .

"الزهرى"

كُنّا نُعَلّم مَغازى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

كَما نُعَلّم السُور من القُرآن .

" زين العابدين بن الحسين بن على "

كان أَبِى يُعَلّمنا المَغازِىَ والسَرَايا

وَيقُول : يابَنِىّ إنها شَرفُ آبائِكم

فَلا تُضيعُوا ذِكرَها .

" إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص "

مَطلَع النُّورِ الأَوَّلِ
مِن أُفُقِ الدَّعوةِ الإِسلَامِيَّة

مطلع النور الأول

من أفق الدعوة الإسلامية

إملأ الأرض يامحمد نورا ... واغمر النـاس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سراً تجلى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عبَّ سيل الفساد فى كل وادٍ ... فتدفقْ عليه حتى يغورا[1]
جئتَ ترمى عُبابهُ بعُبابٍ ... راح يطوى سُيولهُ وَالبحورا
ينقذُ العالم الغريقَ ويحمى ... أمم الأرض أن تذوق الثبورا[2]
زاخر يشملُ البسيطة مدًّا ... ويعمُّ السّبع الطّباق هديرا[3]
أنت معنى الوجودِ ، بل أنت سرٌّ ... جهل النـاسُ قبله الأكسيرا[4]
أنت أنشأت للنفوس حياةً ... غيرت كل كائنٍ تغييرا
أنجب الدّهرُ فى ظلالك عصراً ... نابهَ الذكر فى العصور شهيرا
كيف تجزى جميلَ صُنعك دُنيا ... كُنت بعثاً لهـا وكنت نُشورا؟
وَلدتك الـكواكبُ الزُهرُ فجراً ... هاشمىَّ السّنا ، وَصُبحاً منيراً
يَصدعُ الغيهبَ المُجَلّلَ بالوحـ ... ـى المُلَقّى ، ويَكشفُ الدّيجورا[5]
منطق القدرة التى ترهق القا ... در عجزاً ، والعبقرى قصورا
كُلُّ ذِمر رمى النُّفوس بوتر ... من حظاياه ردَّه موتورا[6]

---

(١) غار الماء ذهب .
(٢) الثبور الهلاك .
(٣) الهدير الصوت والغليان .
(٤) الاكسير ما يلق على الفضه ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .
(٥) الديجور الظلام .
(٦) الذمر الشجاع والوتر الثأر أو الظلم فيه وأكثر مايستعمل فى العداوة بسبب القتل ـــ

خرت العُرب من مشارفها العُلـ يا تُوالى هويّها والحـــدورا
بات فيها ملك البيان حريباً يسلم الجنـــد والحمى والثُّغورا(١)
أنكر الناس ربهم وتولوا يحسبون الحياة إفكاً وزورا
أين من شرعة الحياة أناسٌ جعلوا البغى شرعةً والفجورا ؟
تلك أربابهم : أتملك أن تنـ فع مثقال ذرة أو نَقيرا ؟
قهروها صناعة ، أعجب الأرْ باب ما كان عاجزاً مقهورا
مالدى «اللات» أو «مناة» أو «العُز ى » غَنَاءٌ لمن يقيسُ الأمورا
جاء دين الهدى وَهبَّ رسول اللّـــهِ يحمى لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته فتداعى ، وَكان خطباً عسيرا
جثمت حوله الحصون ، وظن الـ قوم ظنّ الغرور أن لن تطيرا
هدَّها ذو الجلال حصناً فحصناً بالحصون العُلى ، وَسوراً فسوراً
بالرسول الهادى ، و بالصفوة الأمـ جاد يَقضون حقـــه الموفورا
يُهرقون النفوس تلقى الردى المهـ راق مثل الغدير يَلقى الغديرا
إنّ فى القتال للشعوبِ حياةً وَارفاً ظِلُّها ، وَخيراً كثيرا
ليس من يركب الدّنيّة يخشى مركب الموتِ بالحياةِ جـــديراً
أمِنَ الحقّ أن تصدّ قريشٌ عن فتاها وأن تطيل النّكيرا ؟
سل أباجهلها وَقوماً دعاهم فاستجابوا جهالة وغرورا
أولعوا بالأذى ، فألفوا رسول ا للهِ جلداً على البـلاء صبورا
كُلّما أحدثوا الذّنوب كباراً وَجدوهُ لِكُلّ ذنب غفورا
مابهِ نَفسُهُ فيغضب يرضيـ ـها وَترضيه ناعماً مسرورا

= وحظاياه جمع حظية . وهى السرية المكرمة . والمعنى منصرف إلى فرسان البلاغة وما يجودونه من كلامهم .

(١) الحريب السليب .

إنه الله ، لا سواه . وَدِينٌ　　ملك النفس ، وَاسترق الشُّعورا

يجد الناس وَالمقاديرَ فيهِ　　وَيرى ما عداه شيئاً يسيرا

مازكا سابقٌ من الرُّسل إلا　　هو أزكى نَفْساً ، وأصفَى ضميرا

جاءه عمُّه يَقول : أترضى　　أن يقيموك سيِّداً أو أميرا ؟[1]

وَيَصبُّوا عليك من صفوة الما　　ل حياً ماطراً ، وَغيثاً غزيرا

قال : ياعم ما بُعثت لدنيا　　أبتغيها ، وما خلقت حصورا[2]

لو أتونى بالنيّرين لأعرضـ　　ـت أريهم مطالبى والشُّقورا[3]

إن يشيروا بمـا علمت ، فانى　　لأدعُّ الهوى ، وأعصى المشيرا[4]

دون هذا دمى يراق ، وَنفسى　　تُطعم الحتف رائعاً محـذورا

---

(١) فى البيت وما يليه إشارة إلى مجيء أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم إليه يبلغه رسالة قريش ويفاوضه فى شأنهم وشأن آلهتهم وقوله : ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته »

(٢) الحصور هنا الضيق الصدر ، والهيوب المحجم عن الشىء .

(٣) الشقور الحاجات والأمور الملتصقة بالقلب المهمة له . جمع شقر .

(٤) دعه دفعه دفعاً عنيفاً .

المُطعِم بن عَدِىّ

خرج الرسول الكريم من مكة إلى الطائف بعد موت عمه أبى طالب وتألب الكفار عليه ليدعو ثقيفاً إلى الإسلام فلقى فيه أذى شديداً . وبعث إلى المطعم بن عدى يقول : إنى داخل مكة فى جوارك . فأجابه إلى ذلك . وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون النبى صلى الله عليه وسلم فى طوافه بالبيت . وبقى المطعم بن عدى كافراً إلى أن مات ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له :

مارأينا كالمطعم بن عدى	جافياً واصلاً ، هيوباً جسورا
آثر الكفر ملة . وَأجار الد	ين مستضعفاً يدور شطيرا[1]
رام بالطائف المقام . فأعيا	فانثنى يطلب الأمان حسيرا[2]
وَكَّل الله بالنُّبوَّة منه	أسداً يملأ الفضاء زئيرا
قائماً فى السّلاح يجمع حولي	ه شبولا تحمى الحمى وَنمورا
يمنع القوم أن يصدوا رسول ا	لله عن بيته ويأبى الخفورا[3]
نقض الحلف من قريش فأمسى	أسلمته العرى ، وكان مريرا[4]

---

(١) الشطير الغريب والبعيد .

(٢) حسيرا كالا متعبا .

(٣) الخفور نقض العهد والغدر .

(٤) المرير ما اشتد فتله من الحبال . وحلف قريش هذا هو الذى عقدوه ضد بنى هاشم وعبد المطلب لإبائهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ويؤدوا ديته مضاعفة . فتعاهدوا على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى شعب أبى طالب ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم . وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم أو يقبلوا لهم صلحاً إلا إذا أجابوهم إلى طلبهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الكعبة فجهدوا حتى لكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانت مدة إقامتهم بالشعب ثلاث سنين . وقيل سنتان . وكان الذين سعوا فى نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدى ، وقيل إنه هو الذى مزق الصحيفة .

عجباً للغوىّ يعطيك منه عملاً صالحــاً ، ورأياً فطيرا[١]
ما رأينا من ظن بالزرع شراً فحمى أرضه . وصان البذورا
لوجزى الله كافراً أجر ما أحـ سن يوماً لخلته مأجورا

فى غار حراء

ظل مستخفياً بغار حراء يعبد الله عائذاً مستجيرا
يسمر القوم فى الضلال ويمسى للذى أطلع النجوم سميرا[٢]
راكعاً ساجداً يسبح مولا ه ، ويُزجى التهليل والتكبيرا
تهتف الكائنات ، يأخذها الصو ت ، تحيّى مكانه المهجورا
نال منها محلة لم ينلها صوت داود حين يتلو الزبورا
نبرات قدسية تتوالى نغماً رائعاً ، وتمضى زفيرا
ربّ . طال الخفاء ، والدين جهر رب فاجعل مدى الخفاء قصيرا
ماجت الأرض حوله ، وتجلى ا لله ينهى بركانها أن يفورا
أوذى الدين فى الشعاب ، وردت يد سعد عــدوه مدحورا[٣]
رقمت فى الكتاب أول سطر وأتم الدم المراق السطورا
أدبر القوم محنقين ، فلولا ا لله كادت رحى الوغى أن تدورا[٤]
أزمع الضيف أن يؤم سواه منزلاً كان صالحاً . مبرورا[٥]
حلّه الوحى روضة شاع فيها رونقاً ساطعاً وفاح عبيرا

---

(١) لم يكتمل نضجه ولم يصدر عن تفكير وروية .

(٢) يسمرون : يتحدثون .

(٣) سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين فى بعض شعاب مكة فضربه سعد بن أبى وقاص ــ وكان معهم رضى الله عنه ــ رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أريق فى الإسلام . ومدحورا مطرودا

(٤) محنقين من الحنق وهو الغيظ والوغى الحرب .

(٥) أزمع عزم ويؤم يقصد .

فى دار الأرقم بن أبى الأرقم

ودعا الأرقم استجب ، تلك دارى   تسع الدين محرجاً محصورا
وافِها ، واجمع المصلين فيها   عصبة إن أردت ، أو جمهورا[١]
وأتى ابن الخطاب يؤمن با   لله ويختار دينه المأثورا
قال : كلا . لن يُعبد اللهُ سرا   ويُرى نور دينه مستورا
اخرجوا فى حمى الكتاب أسوداً   واطلعوا فى سنا النبى بدورا
ذلكم بيتكم ، فصلوا وطوفوا   لا تخافُنَّ مشركا أو كفورا[٢]

إرادة قتل الرسول وهجرته إلى المدينة

أجمعوا أمرهم . وقالوا : هو القتـ   ـلُ يُميط الأذى وَيشفى الصدورا[٣]
كذبوا . مادم الهزبر أما   نىُّ مَهاذيرَ يكثرون الهريرا[٤]
لا وربِّى ، فإنما طلب الكفَّـ   ـارُ بَسلاً . وحاولوا محظورا[٥]
أنّ نفس الرسولُ أمنع جاراً   من طواغيتهم . وأقوى مجيرا
مالهم ؟ هل رمى النبى تراباً   أم عَمًى فى عيونهم مذرورا ؟
ذهلوا مدةً . فلما أفاقوا   أنكروها دَهْياء عزت نظيرا

---

(١) كانوا تسعة وثلاثين رجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضى الله عنه .
(٢) لم يكن المسلمون يطوفون بالبيت أو يصلون ظاهرين قبل إسلام عمر .
(٣) أماط الشىء أبعده ونحاه .
(٤) الهزبر الأسد ، ومهاذير جمع مهذار وهو الذى يكثر من الهذر ، والهرير صوت الكلب دون النباح .
(٥) البسل الحرام .

ينفضون التراب ، من مسّ منــا كُلَّ وجهٍ فردَّهُ معفــــورا ؟
أين كنا ؟ ما بالنا لا نراه ؟ ما لأوصالنا تحسُّ الفتــــورا ؟
أمِنَ الحادثات ما يُذهل العــا قِلَ عن نفسهِ ويُعمى البصيرا ؟
أين وَلى ؟ لقد رمانا بسحرٍ فسكرنا وما شربنا الخمورا
ياله مُصعبــاً لو أنّا أصبنــا هُ على غرةٍ لَخَرَّ عقيرا[1]
راح فى غبطةٍ . ورحنا نعانى أملاً ضائعاً وَجَـــدًّا عثورا[2]
خيبة تترك الجوانح حرى يالها حسرة تشب وتورى[3]
ربّ آتيته على القوم نصراً فتباركت حافظاً ونصيرا
أنت نجّيته فهاجر يقضى الـ ـحق لا خائفاً ولا مذعوراً
يوم ضجت جبال مكة ذعراً وتمنت هضابها أن تمورا[4]
تتنزىَّ أسى ، وتمسكها تمـ ـنعها من ورائه أن تسيرا[5]
هى لولاك لارتمت تقذف الصخـ ـر وترجى هباءها المنثورا
هاجها من جوى الفراق وحر الـ ـوجد ما هاج بيتك المعمورا[6]
كاد يهفو فزدته منك روحا فانثنى راجح الجلال وقورا
يا لها من محمد نظرات زخرت رحمة ، وجاشت سعيرا
نظرات شجية لا تعد الـ أهل أهلا ، ولا ترى الدور دورا
قال : ما فى البلاد أكرم من مكـ ـة أرضاً ، ولا أحب عشيرا
فاسكنى يا هموم نفسى ، إن الله أمضى قضاءه المقدورا

---

(١) العقير والمعقور بمعنى .
(٢) جدا عثورا حظا عاثرا .
(٣) تورى تشتعل .
(٤) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم .
(٥) تتنزى تسيل .
(٦) جوى الفراق ألمه وشدته .

إننى قد نذرت لله نفسى والتقىُّ الوفىُّ يقضى النذورا
نقطع البيد بعد صحب كرام قطعوا غارب العباب عبورا[١]
كم رشيد آذاه فى الله غاو زاده طائف الهوى تخسيرا
ضرب الصحب فى البلاد فأمسوا لا يصيبون صاحباً أو سجيرا[٢]
فى ديار لدى النجاشى غبر ظل فيها سوادهم مغمورا
وتولى وللأمور مصير يشترى ربه ، ويرجو المصيرا
يوم يمشى الصديق فى نوره الزا هى يوالى رواحه والبكورا
ينصر الحق ثائراً يمنع البا طل أن يستقر أو أن يثورا
لا يبالى غيظ القلوب ولا يح فل فى الله لائماً أو نذيرا

* * *

أقبل القوم يسألون : أتحت التر ب ، أم جاور الطريد النسورا
نفضوا الهضب والجبالَ وشقوا الأ أرض طرًّا رمالها والصخورا
ويح أسماء إذ يجىء أبو جه ل عَلَى خدرها المصون مغيرا
صاحَ : أسماء أين غابَ أبو بكـ ر ، أجيبى ، فقد سألنا الخبيرا
قالت : العلم عنده ما عهدنا أَجَم الأسد تستشير الخدورا[٣]
فرماها بلطمةٍ تُعرض الأجْـ يال عن ذكرها صوادف صورا[٤]
قذفت قرطها بعيداً ورضت من وجوه النبى وجهاً نضيرا[٥]

---

(١) إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة وغارب العباب أعلاه . والبيد الصحارى .
(٢) السجير الخليل الصفى .
(٣) الأجم جمع أجمة والأجمة بيت الأسد . والخدور جمع خدر ، وخدر المرأة خباؤها ، والمعنى أنه لم تجر العادة أن يستشير الرجال النساء .
(٤) من الصدوف والصور ، وهما بمعنى الميل والانصراف .
(٥) رضت بمعنى دقت أو كسرت .

في الغار الأكبر غار ثور

غارَ ثور ، أعطاك ربكَ ما لم ... يُعط من روعة الجلال القُصورا
أنت أطلعت للممالك دنيا ... ساطعاً نورها ، ودِيناً خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزاً ... كان من قبل عنده مذخورا
مخفرُ الحق لاجئاً يتوقى ... قام فيه الروح الأمين خفيرا
وقفتْ حوله الشعوب حيارى ... من وراء العصور ، تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب ، ويحكِ إن الـ ... حق أعلى يداً وأقوى ظهيرا[1]
لا تخافي ، فتلك دولته العظـ ... مى تناديك : أن أعدى السريرا
جاءكِ المنقذُ المحرر لا يتـ ... رك قيداً ولا يغادر نيرا[2]
ورثَ المالكينَ والرُسلَ الها ... دين بالحق أولا وأخيرا
الحكيم الذى يهدُّ ويبنى ... فيجيد البناء والتدميرا
والزعيم الذى يسن ويقضى ... لبنى الدهر غُيَّباً وحضورا
تترامى الأجيال بين يديه ... تتاقى النظام والدُستورا
ليس فى الناس سادةٌ وعبيدٌ ... كبر العقل أن يظل أسيرا
خُلِقَ الكلُ فى الحقوق سواءً ... ما قضى الله أمره مبتورا[3]
كذب الأقوياء ما ظلم الله ... وما كان مسرفاً أو قتورا[4]

(١) الظهير ـ المعين .
(٢) النير الخشبة توضع على عنق الثورين ليجرا ما يراد جره .
(٣) مبتورا مقطوعا .
(٤) القتور البخيل .

دَبَّرَ الملك للجميع فسوّى الْ أمر فيه ، وأحكم التدبيرا
يا نصير الضعافِ ، حرر نفوساً تتمنى الفكاكَ والتحريرا
ضجت الكائنات ، هل من سفير يتلافى الدُّنى ؟ فكنت السفيرا
رب آتيتنا هداك وأنزلْ ت علينا كتابك المسطورا
فلكَ الحمد وافراً مستمراً ولك الفضل باقياً مذكورا

أبو بكر وحيّة الغار

صاحب القائم المتوج بالفر قانِ ، بوركتَ صاحباً ووزيرا
أنتَ واليته ، وعاديتَ فيه من توخى الأذى ، وأبدى النفورا[١]
أو لم تتخذ أباك عدوا وتذقه الهوان كيما يحورا؟[٢]
إذ يقول النبي : لا تضرب الشيـ خ وإن سبنى ، ودعه قريرا[٣]
إنما نلت بالمساءة منه والداً مدبراً ، وشيخاً ضريرا

* * *

ليت شعرى : أصبت حية واد تنفث السم ، أم أصبت حريرا ؟[٤]
نفثت سمها فما هز رضوى من وقار ، ولا استخف ثبيرا[٥]

---

(١) واليته ناصرته .
(٢) يحور يرجع .
(٣) يعنى مطمئنا .
(٤) وضع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجر الصديق فنام على ركبتيه وقد بقى فى الغار شق لم يسد فوضع الصديق قدمه فيه فلدغته الحية فاحتمل أذاها وكره أن يتحرك فيوقظ النبي . وقيل إن عينه دمعت فسقط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه .
(٥) رضوى وثبير جبلان .

خفت أن توقظ النبي فمـا ير ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك . لقد أعـطاك سبحانه . فأعطى شكورا
أى رأس حملت يا حامل الإيـ ـمان سمحاً ، والبرّ صفواً طهورا ؟

سُراقة بن مالك يُريد قتل النبى

جعل كفار قريش لمن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم أو يأسره مائة ناقة فذهب سراقة فى أثره ، قال سراقة ـ بعد أن ساخت قوائم فرسه مراراً وبعد أن اعتذر إلى النبي الكريم : يا محمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس . فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك . فأمر عامر بن فهيرة ـ وقيل أبا بكر ـ فكتب له العهد الذى طلب ـ أسلم بالجعرانة رضى الله عنه . قال له النبى عند منصرفه : « كيف لك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى » ، وقد ألبسه عمر إياهما فى خلافته لما فتحت بلاد فارس .

إذن الله يا سراقة وانظر هل ترى الأمر هيناً ميسورا ؟
أم تظن الجواد تمسكه الأر ض وتلوى عنانه مسحورا ؟
أم هو الله ذو الجلال رماه يمسك الشر راكضاً مستطيرا ؟
غرك القوم ، فانطلقت ترجّيـه خسيساً من الجزاء حقيرا
وضح الحق ، فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين فضلاً كبيرا
فزت بالعهـد فاغتنمه وأبشر بسوارى كسرى فديت البشيرا
قل لأهل النياق : أوتيت أجرى جللا ، فابتغوا سواى أجيرا[1] .
ليس من رام رفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بعيراً[2] .

---

(۱) جللا عظيما .
(۲) السناء الرفعة .

بُرَيْدَة بن الحُصَيْب

وأصحابه يأتون بعده

وأتى بعـــده بريدة يرجو أن ينال الغنى ، وكان فقيرا
يركب الليل والنهار ، ويطوى الـ بيد غبراً سهولها والوعورا
فى رجال من صحبه زعموا الـ إغراء نصحاً ،واستحسنوا التغريرا
آثروا الله والرسول ففازوا وارتضوها تجارة لن تبورا[1]
أسلموا ، وارتأى بريدة رأياً ألمعيا ، وكان حرا غيورا
قال : ما ينبغى لمثل رسول ا لله أن يألو البلاد ظهورا
كيف تمشى بلا لواء ، وقد أو تيت من ربك المقام الأثيرا ؟[2]
ليس لى من عمامتى ومن الرمـ ـح عذير إذا التمست عـــذيرا
اخفقى ياعمامتى ، واعل يارمـ ـحى فقد خفت أن تعود كسيرا
ومشى باللواء بين يديه يتلقى السنا البهى نحورا

فى خيمة أُمّ مَعبد

ما حديثٌ لأمّ معبـدَ تسْتَسْـ قِيه ظمأى النفوس عذباً نميراً ؟
سائل الشّاةَ كيف درّتْ وكانت كزّةَ الضّرع لا ترجّى الدُّرورا ؟[3]
بركَاتُ السَّمح المؤمَّلِ يَقرى أُممَ الأرض زائراً أو مزورا[4]
مظهر الحق للنبـوّة سبحا نكَ ربٌّ فرد الجـلال قديرا

---

(١) تبور تـكسد .
(٢) المقام الأثير الأول .
(٣) يابسة الضرع . والدرور مصدر من در .
(٤) يقرى يطعم .

فى قُبَاءٍ

يا حياة النّفوس ، جئت قباء جيئةَ الرّوح تبعث المقبورا
إرفع المسجد المبارك واصنعْ للبرايا صنيعك المشكورا
معقلٌ يعصم النّفوس ويأبى أن يميل الهوى بها أو يجورا
أوصها بالصّلاة . فهى علاجٌ أو سياجٌ يذودُ عنها الشُّرورا
غرس اللهُ دوحةَ الدين قدماً وقضاها أُرومةً وجذورا(١)
لو أردت النّضار لم تحمل الأحـ ـجار توهى القوى . وتحنى الظُّهورا(٢)
أرأيت ابنَ ياسرٍ كيف يبنى ؟ أرأيت المشيَّعَ الشِّمِّيرا ؟(٣)
أرأيت البنّاءَ يستبق القو م صعوداً ، ويزدهيهم سؤورا ؟(٤)
أرأيت الفحل الأبىَّ جنيباً فى يَدِ اللهِ ، والهزبر الهصورا ؟(٥)
ينصبُ النّحر للحجارة والطّـ ـين يُغير الحلَى ، ويُغرى النُّحورا
ما بنى مثله على الدّهر غِرٌّ راحَ يبنى خورنقاً أو سديرا(٦)
يجد الحقُّ فى البناء حصوناً ويرى الطّير فى البناء وكورا(٧)

---

(١) الأرومة الأصل .

(٢) كان صلى الله عليه وسلم يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له فيقول — لا — خذ مثله — وتوهى تضعف . النضار الذهب .

(٣) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه . أسس النبى المسجد وأتمه هو . والشمير الماضى فى الأمور المجرب .

(٤) السؤور الوثوب والارتفاع .

(٥) الجنيب والمجنوب ما يقاد من الخيل ونحوها . والهزبر الأسد .

(٦) الغر من لم يجرب الأمور والخورنق والسدير قصران للنعمان .

(٧) إشارة إلى قول الشاعر فى بعض الأبنية العظيمة .

شاده مرمراً وجلله كلـ ـساً فللطير فى ذراه وكور

حَيّ بني عَمْرو بن عَوف

نزل النبي صلى الله عليه وسلم فى قباء على كلثوم بن الهدم كبير بنى عمرو بن عوف ، وهم من الأوس ، وكان الموضع الذى بنى فيه المسجد مربداً له .

بورِكَ الحيُّ حيّكم يا بنى عمـ	ـرو بن عوفٍ ، ولا يزل ممطورا
كنت فيه الضيف الذى يغمر الأنـ	ـفس والدُّور نعمــة وحبورا
ما رأت مثلك الديار ، ولا حيَّـ	ـالك القوم فى الضّيوف نظيرا
كرهوا أن تبين عنهم ، فقالوا	أملالاً أزمعت عنّا المسيرا ؟[1]
قلت : بل يثرب انتويت وما ألـ	ـفيت نفسى بغـيرها مأمورا
قريةٌ تأكل القرى ، وتريها	كيف تلقى البلى ، وتشكو الدُّثورا[2]
طربت ناقتى إلى لابتيهــا	فدعوا رحلها وخلُّوا الجريرا[3]
رحمةُ الله . والسَّلامُ عليكم	آل عوفٍ ، كبيركم . والصّغيرا

---

(١) تبين تبعد أزمعت عزمت .

(٢) الدثور الهلاك .

(٣) الجرير الزمام .

مِن قِبَاء إلى المدينة

أقبل ، فتلك ديار يثرب تقبل يكفيك من أشواقها ما تحمل
طال التلوّم والقلوب خوافقٌ يهفو إليك بها الحنين الأطول (١)
القوم مذ فارقت مكّةَ أعينٌ تأبى الكرى ، وجوانحٌ تتململ (٢)
يتطلّعون إلى الفجاج ، وقولهُمْ أفما يطالعنا النبيُّ المرسل ؟ (٣)
أقبلت فى بيض الثّياب مباركاً يزجى البشائر وجهك المتهلّل (٤)
يا طيب ما صنع الزُّبير وطلحةٌ ولصنعك الأوفى أجلُّ وأفضل
خفَّ الرجال إليك ، يهتف جمعهم وقلوبهم فرحاً أخفُّ وأعجل
هى فى ركابك ، ما بها من حاجةٍ إلاّ إليك ، وما لها متحول
هجرت منازلها بيثرب وانتحت أُخرى بمكة دورها ما تؤهل
وفدان ، هذا من ورائك يرتمى عجلاً ، وهذا من أمامك ينسل (٥)
انظر بنى النّجار حولك عكّفاً يردون نورك حين فاض المنهل (٦)
لم ينزلوك على الخؤولة وحدها كلُّ المواطن للنّبوّة منزل
نزلوا على الإسلام عندك . إنّه نسبٌ يعمُّ المسلمين و يشمل

* * *

---

(١) التلوم التمكث والانتظار .

(٢) الكرى ـ النوم . تتململ تتوجع من طول الانتظار كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة .

(٣) الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع .

(٤) هى الثياب التى كساه إياها الزبير وطلحة فى قفولهما من الشام بتجارتهما .

(٥) ينسل يسرع .

(٦) كان معه فى قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بنى النجار متقلدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بمقدمه . ويردون من ورد الماء إذا قصده للشرب .

ما للديار تهزّها نشواتها ؟ أهى الأناشيد الحسان ترتّل ؟(١)
رفّتْ نضارتها . وطاب أريجها وترددت أنفاسها تتسلسل(٢)
فكأنّما فى كلّ مغنًى روضةٌ وكأنّما فى كلّ دارٍ بلبل
هنّ العذارى المؤمنات أقمنه عيداً تحيّيه الملائك من عل
فى موكبٍ للهِ أشرق نوره فيه ، وقام جلاله يتمثّل
جمع النبيّين الكرام فآخذٌ بيد الإمام وعائذٌ يتوسّل(٣)
يمشى به الرّوح الأمين مسلّماً وجبينه بفم النّبىّ مقبّل
إيهٍ بنى النجّار إنّ محمّدًا لأشدُّ حُبًّا لِلّتى هى أجمل(٤)
خلّوا سبيل الله ، ما لرسوله عمّا أعدَّ من المنازل معدل
ذهبت مطيّته ، فقيل لها ، قفى هذا مناخك ، لست ممّن يجهل
النّاس فى طلب الحياةِ . وهاهنا سِرٌّ لها خافٍ ، وكنزٌ مقفل
أعطى أبا أيّوب رحلكِ . واحمدى من أمر ربّك ما يجىء و يفعل
ودعى الزّمام لأسعد بنِ زُرارةٍ فاليهِ بعد الله أمرك يوكل(٥)
لمّا حملت الحقَّ أجمع والهدى أمسى بحبل اللهِ حبلكِ يوصل

---

(١) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بقدمه ، ومما قيل فى ذلك .

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

(٢) رفت برقت وتلألأت .

(٣) عائذ : لاجىء .

(٤) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر فى طريقه إلى المدينة بقوم سألوه أن ينزل فيهم فيقول : خلوا سبيلها ــ يعنى ناقته القصواء ــ فإنها مأمورة » فلما بلغ دار عدى بن النجار قال له بنوه : نحن أخوالك . لا تجاوزنا : فقال . خلوا سبيلها ، فذهبت حتى بركت عند دار بنى مالك بن النجار بمقربة من باب أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، وذلك فى محل المسجد ، واستأذن أبو أيوب النبى فى حمل رحلها إلى داره فأذن له ــ ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضىالله عنه على أبى أيوب . وقال : المرء مع رحله . فمكث عنده حتى تم بناء المسجد .

(٥) أخذ أسعد بن زرارة رضى الله عنه ناقة النبى إلى داره .

يتنافس الأنصار فيك ، وما دروا لمن المفـاز ، وأيُّهُمْ هو أول
هى كيمياء الحقّ لولا أنّها تهدى العقول خلتُها لا تعقل
دنيا من العجبِ العجابِ ، ودولةٌ يهوى النُّضار بها ، ويعلو الجندل[١]
أرأيت أهل الكهف لولا سِرُّها هل كان يكرم كلبُهم ويُبجَّل ؟[٢]
شكراً أبا أيّوب فزت بنعمةٍ فيها لنفسك ما تريد وتسأل
ما مثلُ رفدك فى المواطن كلها رفدٌ يضاعف ، أو عطاء يجزل[٣]
للهِ دارك من محلّة مؤمنٍ نزل الحمى فيها ، وحلَّ المعقل
نزل النبيُّ بها ، فحلَّ فِناءها مجـدٌ يقيم ، وسؤددٌ ما يرحل
مجدُ النبوّةِ فى ضيافةِ ماجـدٍ سمح القرى ، يسدى الجزيل ويبذل[٤]
وسعت جفان المُطعِمين جفانه كرمًا ، فما يأبى ، ولا هى تبخل[٥]
أضفى على السّعدين بُرْد سماحةٍ فاهتزَّ جودُهما ، وأقبـل يرفل[٦]
جذلان محتفـلاً ، يقرّب منهما للهِ ما يرضى وما يتقبّـل
جعل القرى سبباً إلى رضوانهِ والبِرُّ والايمان فيما يجعـل

---

(١) النضار : الذهب ، والجندل : الصخر .
(٢) جاءت قصتهم فى سورة الكهف من القرآن الكريم . ويبجل : يعظم .
(٣) الرفد العطاء والصلة ، والجزل الكثير .
(٤) القرى ما يقدم للضيف ، الجزيل الكثير .
(٥) كان المسلمون يتنافسون فى حمل الجفان إلى دار أبى أيوب كرامة للرسول الكريم ومساهمة منهم فى شرف ضيافته . وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة . وجفنة أسعد بن زرارة رضى الله عنهما كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه رضى الله عنهن .
(٦) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب .

جفنة أم زيد بن ثابت

كان أول طعام أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة – قال
زيد له : هذه قصعة أمى ؛ فقال : بارك الله فيها .

يا زيد من صنع الثَّريد ، وماعسى ... ترجو بما حملت يداك وتأمُل ؟
بعثتك أُمك تبتغى فى دينها ... ما يبتغى ذو الهمَّةِ المتعمِّل
شكر النبىُّ لها ، وأطلق دعوةً ... صعدت ، كما شقّ الفضاء مجاجل
أطيب بتلك هديّةً يسعى بها ... فى اللهِ ساعٍ بالجلال مظلَّل
لو أنَّها وزنت بدنيا قيصرٍ ... رجحت ، وأين من الخضمّ الجدول؟[1]
هى إن عييت بوصفها ما يجتنى ... من نعمةِ الإسلامِ ، لا مايؤكل
ما فى جهادك أمَّ زيدٍ ريبةٌ ... نار الوغى احتدمت ، وأنت الجحفل[2]
شرَعٌ سرابيلُ الحروب، وما اكتسى ... من سابغاتِ الخيرِ من يتسربل[3]

المهاجرون فى ضيافة الأنصار

يا معشر الأنصارِ ، هل لى عندكم ... نادٍ يضمُّ النابغين ومحفل
عندى لشاعركم تحيةُ شاعر ... يَسِمُ القوافىَ وسمه يتنخل[4]
تسميهِ فى دُنيا البيانَ روائعٌ ... منها رواكدُ ما تريم وجُفَّل[5]
الثاويات على هدى من ربها ... والسابحاتُ السائحاتُ الجُوَّل

---

(١) الخضم – البحر – والجدول – النهر الصغير .
(٢) الوغى الحرب الجحفل الجيش الكبير .
(٣) شرع سواء .
(٤) يختار .
(٥) ماتريم – ما تبرح وما تزول .

شُغلتْ بها الدُّنيا . وماهى بالّتى تعنى بدنيـا الجاهلين وتشغل
تأبى القرار بكلّ واد ممحلٍ وتحلُّ بالوادى الذى لا يمحل
حسّان أبلغُ من يقول . وليس لى منه إذا ادّعت المصاقع مقول[١]
أنتم قضيتم للنّبىِّ ذمامه ونصرتم الحقّ الذى لا يُخذل
وصنعتم الصنع الجميل كرامةً لمهاجرين هم الفريق الأمثل
فعرفتُ موضعكم ، وكيف سما بكم مجدٌ لـكم فى المسلمين مؤثَّل[٢]
وأذعته نبأ لـكم ما مثله نبأٌ يذاع ، ولا حـديثٌ ينقل
القوم قوم الله ملء دياركم وكأنهم بديارهم لم يرحلوا[٣]
الدين يعطف ، والسماحة تحتفى والحبُّ يرعى ، والمروءة تـكفل
والله يشـكر ، والنّبىُّ بغبطة والشرك يصعق ، والضلالة تذهل
دين الهدى والحقِّ فى أعراسه والجاهليّة فى المـآتم تعول
إن هاهُا الحدث الذى نـكبت به فلسوف تنـكب بالذى هو أهول
زولى معطِّلة العقول ، فمن قضى أنّ البصائر والعقول تعطَّل ؟
ألقى السّلاح ، فما لخصمك دافعٌ ودعى الـكفاح ، فما لجندك موئل[٤]
أزرى بك الفشل المبرح وارتمى بحماتك القدر الذى لا يفشل
السَّهل يصعب إن تواكلت القوى والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرسى المعاقل مؤمنٌ ، لا نفسه تهفو ، ولا إيمانه يتزلزل
هذا النّذير، فإنأبيت سوى الأذى فالأرض بالدّم لا محالة تغسل

---

(١) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها ، والمصاقع جمع مصقع . البليغ العالى الصوت لا يرتج عليه فى كلامه . والمقول هنا من أسماء اللسان .

(٢) المجد المؤثل ، العالى .

(٣) تفرق المهاجرون ضيوفاً كراماً فى دور الأنصار .

(٤) موئل ـ ملجأ .

علقت بمقتلها السّهام ، وما عسى يبقى الرّمىُّ إذا أصيب المقتل ؟
الله أكبر ، كلُّ زور ينقضى مرَّ السّحاب ، وكلُّ إفك يبطل

مسجد المدينة

المسجد الثّانى يقام بيثربٍ ومحمد البانى يجــــدُّ ويعمل(١)
عمار أنت لها ، وليس ببالغ عليا المراتب من يكلُّ ويكسل(٢)
إن يثقل العبء الذى حملته فلما يحمّل ذو التّباعة أثقل(٣)
ماذا بلغت من السّناء على يد أدنى أناملها السماك الأعزل(٤)
مسحَتْه ظهراً منك طال مُنيفه حتى تمنى لو يكونك يذبل(٥)
هــذا رسول الله فى أصحابه لا يشتــكى نصباً ، ولا يتمهّل(٦)
يأتى ويذهب بينهم ، فملثم بالتُّرب يغشى وجهه ، ومكلَّل(٧)
من كلّ قوّامٍ على أثقاله سامٍ ، له ظهرٌ أشمُّ وكلــكل(٨)

---

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن بنفسه فيدأب المسلمون ويقول قائلهم .
لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فقال له الرسول الكريم . ألا تحمل كما يحمل أصحابك . قال : لبنة عني يا رسول الله ولبنة عنك . فنفض صلى الله عليه وسلم التراب عن رأس عمار ومسح ظهره .

(٣) التباعة : الرغبة .

(٤) السناء : المجد والشرف . والسماك الأعزل : اسم نجم .

(٥) يذبل اسم جبل فى بلاد العرب . والمنيف العالى .

(٦) النصب : التعب .

(٧) المكلل : المحفوف بالنور .

(٨) الكلكل : الصدر .

ما كان أحسنها مقالة راجز　　لو كان يعرفُ حكمها المتمثل[1]
هتف الامام بها ، فراح يعيدها　　ثمّ انثنى متلطِّفاً يتنصّل
عمار ، ياناك إذ تلام ، وياله　　من ذى محافظة يلوم ويعـذل
هجت ابن مظعون فأقبل غاضباً　　حنقاً ، يجيش كما يجيش المرجل[2]
ولقد يحيد عن التُّراب إناقةً　　من لايحيد عن الضِّراب وينـكل
مهلاً أبا اليقظان قرنك باسلٌ　　وأخوك فى جد الوغى لا يهزل[3]
ولئن أهاب الله : يال محمد　　صونوا الحمى ، لهو الأشدُّ الأبسل
السَّيف يعجز أن ينال غراره　　ما ليس يعجز أن ينال المعول[4]

---

(١) كان عثمان بن مضعون رضى الله عنه إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب . فإن أصابه شيء من التراب نفضه . فنظر إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأنشد يفاكهه .

لا يستوى من يعمر المساجدا　　يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدرى من يعنى به ، فغضب عثمن وأغلظ له القول . وكان معه حديدة قال : لتكفن أو لأضربنك بها .

(٢) الحنق الغيظ يجيش يتحرك المرجل القدر إذا فار ماؤه .

(٣) كنية عمار وقرن الرجل كفؤه ومن يقاومه فى الشجاعة وغيرها. والباسل الشجاع.

(٤) غرار السيف حده .

أبو بكر يؤدي ثمن الحائط الذي أدخل في المسجد

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضم إلى المسجد حائطاً ليتيمين من الأنصار كانا في كفالة أسعد بن زرارة – وقيل معاذ بن عفراء – وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيوب الأنصاري أن يؤدي الثمن إليهما فأبى النبي ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أديت من مال أبي بكر الصديق .

وقال الغلامان : نهبه لك يا رسول الله فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن .

وجاء أنه صلى الله عليه وسلم وضع اللبنة الأولى في المسجد ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنته ، وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان ، وقيل أن المراد بذلك ترتيب الخلافة .

إيهٍ أبابكرٍ ظفرت بصفقةٍ	شتّى مغانمها لمن يتأمّل
القوم عند إبائهم وسخائهم	لو يبذلون نفوسهم لم يحفلوا
لا يقبلون لحائطٍ ثمناً . ولا	يبغونها دنيا تذمُّ وتُرذل
الله يطلبه لنصرة دينه	والدين هم أنصاره ما بدلوا
قالوا : أمِنَّا يامحمد يُبتغَى	ما ليس يخلق بالأباة ويجمل ؟
إنا لعمر الله نعرف حقه	ونعزُّ منّته التى نتملل[1]
نعطى اليتيمين الكفاء ، وإن هما	أبيا ، ونتّبع التى هى أنبل[2]
خذ ما أردت ، فلن نبيعك مسجداً	يدعوه فيه مكبرٌ ومهلّل
هو ربُّنا ، إن نالنا رضوانه	فلنا المثوبة والجزاء الأكمل
إيهٍ أبابكرٍ خليلك مطرقٌ	يأبى ، وأنت بما يريد موكل
لا بدَّ من ثمن يكون أداؤه	حكماً يطاع ، وشرعةٌ ما تهمل

(١) تملل الله دخل فيها .
(٢) كفاء الشيء ما يساويه .

لولا الرسول وما يعلّم قومه ... جهل المحجة ظالم لا يعدل
وإذا قضى أمراً ، فما لقضائه ... ردٌّ ، ولا فى غيره متعلَّل
الحقُّ ما شرع النبيُّ ، وباطلٌ ... ما يدَّعى المرتاب والمتأوِّل
لا بد من ثمن ، ولست بواجد ... فى القوم من يضح الصواب فيغفل[1]
أمر الرسول به ، فدونك أده ... ولأنت صاحبه الكريم المفضل
ياباذل الأموال ، نات ببذلها ... مالم ينل فى المسلمين مموَّل
أتبعت نفسك ماملكت ، فمهجةٌ ... تنهال طيّعةً ، وكفٌّ تهطل

بلال يؤذن للصلاة

أذن بلال لك الولاية ، لم تُتح ... لسواك إذ تدعو الجموع فتقبل
الله ألبسك الكرامة ، واصطفى ... لك ما يحبُّ المؤمن المتوكّل
ياطول ما عذِّبت فيه فلم تمل ... تبغى التّى اتَّبع الغواة الميَّل[2]
أحد إلهك ، ما كذبت ، وما لمن ... يرجو النّجاة على سواه معوّل
أرنى يديك : أفيهما لأميَّة ... وردٌ من الموت الذُّعاف مثمَّل ؟[3]
للسَّيف سيف الله أهول موقعاً ... من صخرة تلقى وحبل يفتل
لك فى غد دمه إذا التقت الظُّبى ... تحت العجاجة ، والرّماح الذُّبَّل[4]

---

(١) مضارع وضح .

(٢) كان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره فى الرمضاء ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيأبى . وكانوا يدفعونه إلى الصبيان فيربطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول (أحد أحد) وقد رق له أبو بكر فاشتراه من أمية بن خلف ثم أعتقه ، وكذلك فعل رضى الله عنه بكثيرين كانوا يعذبون فى الله

(٣) الموت الذعاف السريع ، والمثمل المنقع .

(٤) قتل بلال رضى الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فهنأه الصديق بقوله .

هنيئاً ، زادك الرحمن خيراً ... لقد أدركت ثأرك يا بلال

والظبى السيوف ، والعجاجة كدرة الجو وغبار المعركة والذبل الرماح الطويلة .

أذّن فإنّ الدّين قام عموده ورست جوانبه فما يتقلقل
هبط الجزيرة ، فاحتوى أطرافها وانساب فى أحشائها يتغلغل
فكأنما طرد السّوائم ضيغم وكأنما ذعر الحمائم أجدل[1]

* * *

خفّ الرجال إلى الصّلاة وإنّها لأجلّ ما تصف الصّفوف المثّل
عنت الوجوه ، فراكع متخشّع يخشى الآله ، وساجد متبذّل[2]
صلّوا بنى الاسلام خلف نبيكم وخذوا بما شرع الكتاب المنزل
الله أيدّكم به ، وأمدّكم منه بنور ساطع ما يأفل
آثرتم السنن السوى ، فجدّكم يعلو ، وجد ذوى العماية يسفل[3]
هل يستوى الجمعان ، هذا صاعدٌ يبنى ، وهذا ساقطٌ يتهيّل ؟
يتألّفون على الهوى ، وقلوبهم شتّى ، يظلّ شعاعها يتزيّل
نصرٌ على نصر ، وفتحٌ بعده فتحٌ يغيظ المشركين محجّل
إنّ امرأ جمحت به أهواؤه من بعد ما وضح الهدى لمضلّل
الحقّ بابُ الله ، هل من داخل طوبى لمن يبغى الفلاح فيدخل

---

(١) السوائم جمع سائمة ، الماشية تذهب فى المراعى . والضيغم الأسد . والأجدل الصقر .
(٢) عنت خضعت .
(٣) الجد الحظ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة ـ وقيل وهو يبنى ـ وكان المراد منها إزالة الوحشة وشد الأزر فى سبيل الدعوة الإسلامية ، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوى الأرحام ، فلما عز الإسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾ ، وكان نزول هذه الآية الشريفة فى وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم قبل ذلك . وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل غير هذا .

عن زيد بن أبى أوفى قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة ، فجعل يقول : « أين فلان ، أين فلان . فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال ـ إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم . إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقاً ، ثم قرأ : ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ قال : وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته . قم يا أبا بكر فقام فجثا بين يديه الشريفتين ؛ فقال : إن لك عندى يداً الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتك ، فأنت منى بمنزلة قيصى من جسدى . وحرك قيصه بيده ؛ ثم قال : ادن يا عمر فدنا ؛ فقال : قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة . وآخى بين المهاجرين والأنصار فجعلهم أخوين أخوين .

وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء . وقيل : كانوا تسعين . وكانت المؤاخاة فى دار أنس بن مالك ، وهى دار أبى طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد بن سهل .

هى الأواصرُ أدناها الدَّم الجارى ... فلا محالة من حبٍّ وإيثار
الأُسرة اجتمعت فى الدّار واحدة ... حيّيت من أسرة ، بوركت من دار
مشى بها من رسول الله خير أب ... يدعو البنين فلبّوا غير أغمار[1]
تأكد العهد مما ضمّ ألفتهم ... واستحصد الحبل من شدٍّ وإمرار[2]

(١) غير أغمار : غير حاقدين .
(٢) استحصد : قوى والإمرار الفتل .

كلٌّ له من سراة المسلمين أخ يحمى الذمار ، ويرعى حرمة الجار
يطوف منه بحقٍّ ليس يمنعه وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
يجود بالدم ، والآجال ذاهلة ويبذل المال فى يسر وإعسار
هم الجماعة ، إلاّ أنهم برزوا فى صورة الفرد ، فانظر قدرة البارى
صاح النبىُّ بهم ، كونوا سواسيةً يا عصبة الله من صحبٍ وأنصار[1]
هذا هو الدّين ، لا ماهاج من فتنٍ بين القبائل دين الجهل والعار
ردوا الحياة فما أشهى مواردها دنيا صفت بعد أقذاء وأكدار
الجاهليّةُ سُمٌّ ناقعٌ وأذىً تشقَى النفوس بداء منه ضرّار
تأهّبوا ، إنّ ديناً قام قائمه يومى إليكم بآمالٍ وأوطار[2]
أما ترون رياح الشّرك عاصفةً تطغى على أممٍ شتّى وأقطار ؟
لن أترك النّاس فوضى فى عقائدهم ولن أسالم منهم كلّ جبّار
أكلّما ملك الأقوام ما لكُهم رمى الضّعاف بأنيابٍ وأظفار ؟
الشّرُّ غطّى أديم الأرض فارتكست أقطارها بين آثامٍ وأوزار[3]
أخفى محاسنها الكبرى ، فكيف بكم إذا تكشّف عن وجهٍ لها عار ؟
لأُنزلنّ ذوى الطغيان منزلةً تستفرغُ الكبر من هامٍ وأبصار
ظنّوا الضّعاف عبيداً ، بئس ما زعموا هل يخلقُ اللهُ قوماً غير أحرار ؟
ما غرّهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم بواحدٍ غالب السّلطان قهّار ؟
يرمى العروش إذا استعصت ويبعثها مبثوثةً فى جناحى عاصفٍ ذار[4]
بعثت بالحقّ يهدى الجامحين كما يهدى الحيارى شعاع الكوكب السارى
أدعو إلى الله بالآيات واضحة تهدى الغوىّ ، وتنهى كلّ كفار

---

(١) سواء .
(٢) الأوطار الحاجات ويومى يشير .
(٣) اديم الأرض وجهها ارتكس الرجل والشىء انتكس .
(٤) من ذرت الريح إذا هاجت التراب .

فمن أبى فدعائى كلُّ ذى شطب ... ماضى الرسالة فى الهامات بتار (١)
الله أكبر . هل فى الحق معتبة ... لمستخفّ بعهد الله غدّار ؟
ألم يكن أخذ الميثاق من قدم ... فما انقام على كفر وإنكار ؟
إن الألى اتخذوا الأصنام آلهةً ... على شفا جرف من أمرهم هار
يستكبرون على من لا شريك له ... ويسجدون على هون لأحجار
راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا ... والله أولى باجلال وإكبار
لكل قوم إله يؤمنون به ... ما يبتغى الله من إيمان فجار ؟
النار أعظم سلطاناً ومقدرة ... فى رأى عبادها ، أم خالق النار ؟
سبحانه من إله شأنه جلل ... يهدى النفوس بآيات وآثار
لأكشفنّ عن الأبصار إذ عميت ... ماأسدل الجهل من حجب وأستار
ما للسراحين بد من مصارعها ... إذا انتضت سطوات الضيغم الضارى (٢)
ضموا القوى ، إنها دنيا الجهاد بدت ... أشراطها ، وترآى زندها الوارى
لا بدّ من غارة للحقّ باسلة ... وجحفل من جنود الله جرّار
خير الذخائر أبقاها ، ولن تجدوا ... كالعهد يرعاه أخيار لأخيار
لاتنقضوا العهد ، إن الله منزله ... على لسان رسول منه مختار
قالوا : عليك صلاة لله ، إنّ بنا ... ما الله يعلم من عزم وإصرار
آخيت بين رجال يصدقون إذا ... زلّت قوى كل خداع وختار (٣)
جنود ربك ، إن قلت : اعصفوا عصفوا ... يرمون فى الحرب إعصاراً باعصار (٤)
من كلّ منغمس فى النفس مرتجس ... وكلّ منبجس بالبأس فوّار (٥)

(١) الشطب الطرائق فى السيف والبتار القاطع .
(٢) السراحين الذئاب والضيغم الضارى الأسد المفترس .
(٣) الختار الغدار .
(٤) الإعصار الريح العاتية تثير السحاب ، أو التى يكون فيها برق ورعد .
(٥) ارتجست السماء رعدت ، والسحاب صوت . وانبجس الماء ونحوه تفجر ، والنقع الغبار يثور من حدة المعركة .

اليهود والمنافقون

لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحداً ، وإن دهمه عدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم . فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ ، ولما نزلت ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ الآية — قال قائلهم — حيي بن أخطب فى رواية — يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغنى . فأنزل الله تعالى: ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ الآية — وكانوا يسألون النبي عن الروح ويقولون له : مم خلق الله — انسب لنا ربك — يريدون تعجيزه وإثارته .

وكان من عظمائهم وأحبارهم حيي ، وأبو ياسر ، وجدى بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صوريا ، ولبيد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله بن سلام . وكان حيي بن أخطب عظيم بنى النضير ، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين رضى الله عنها ، كانت من سبايا النبي فى غزوة خيبر بعد قتل أبيها وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبي عند أم سليم — أم أنس — حتى اهتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها ، وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول كبيرهم ، كان من أعظم أشراف أهل المدينة ، وكانوا يريدون تتويجه ملكاً عليهم ؛ فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أمله ، وعظم غيظه وحقده .

والمنافقون قوم من اليهود دخلوا فى الإسلام لما قوى أمره خشية القتل وبقى هواهم مع قومهم .

دعاً ، فأجابوا ، والقلوب صوادف ... وقالوا : استقمنا . والهوى متجانف[1]

مضى العهد ، لاحرب تقام ، ولا أذى ... يرام ، ولا بغى عن الحقّ صارف

لهم دمهم ، والدين ، والمال ما وفوا ... فإن غدروا فالسيف واف مساعف

---

(١) المتجانف المائل .

سياسة من لا يخدع القول رأيه ولا يزدهيه باطل منه زائف
رسول له من حكمة الوحى عاصم ومن نوره فى ظلمة الرأى كاشف
يسالم من أحبارهم وسراتهم رجالا لهم فى السلم رأى مخالف
يغيظهم الاسلام ، حتى كأنما هو الموت، أوعادمن الخطب جارف
إذا هتف الداعى به اهتاج ناقم وأعول محزون ، وأجفل خائف(١)
إذا ما تردى فى الضلالة جاهل فما عذر من يأبى الهدى وهو عارف ؟
يقولون قول الزور ـ لا علم عندنا كفى القوم علماً ما تضم المصاحف
لهم من سنا التوراة هاد وللعمى ركام على أبصارهم متكاثف
دنا الحق من بهتانهم ، ورمى بهم إلى الأمد الأقصى هوى متقاذف
عنا ابن أبى من هوى التاج لاعج وطاف به من نشوة الملك طائف
جرى راكضاً ملء العنانين ، فانتحى له قدر ألقى به وهو راسف(٢)
فما مثله فى مشهد الإفك فارح ولا مثله فى مشهد الحق آسف
ظنون يعفيها اليقين ، ودولة من الوهم تذروها الرياح العواصف(٣)
يهيب بأضغان اليهود يشبها عداوة قوم شرهم متضاعف
وما برح الحبر السمين يغرهم ويأكل من أموالهم ما يصادف(٤)
أعدوا له المرعى فراح مهبلاً كظنك بالخنزير واتاه عالف(٥)

---

(١) أجفل انزعج أو هرب مسرعا .
(٢) رسف الرجل مشى مشى المقيد .
(٣) يعفيها يمحوها، من عفت الريح المنزل.
(٤) هو مالك بن الصلت من أحبارهم . كان يبغض النبى بغضاً شديداً . ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم ، قال له صلى الله عليه وسلم ـ أنشدك الله . أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين . إنك الحبر السمين . سمنت من المال الذى يطعمك اليهود . فغضب والتفت إلى عمر قائلا . ما أنزل الله على بشر من شىء . فكان هذا كفراً منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين . وعلم اليهود فنزعوا عنه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الإشرف .
(٥) المهبل الكثير اللحم .

ينوء بجنبيه ويرتج ماشـياً ... إذا اضطربت منه الشوى والروانف(١)

رماهم بها عمياء لم يرم معشراً ... بأمثالها أحبارهم والأساقف

فقالوا: غوى ابن الصلت وانفض جمعهم ... يريدون كعباً وهو خزيان كاسف

رمى الصادق الهادى لفيقة نفسه ... بصـادعة تنشق منها اللفائف(٢)

فأما لبيد فاستعان بسـحره ... رويداً أخا هارون تلك الطرائف(٣)

أعندك أن السحر لله غالب ... تأمل لبيد أى مهوى تشارف(٤)

وشاس بن قيس هاجها جاهليةً ... تطير لذكراها الحلوم الرواجف(٥)

يقلب بين الأوس والخزرج الثرى ... وقد وشجت فيه العروق العواطف

---

(١) الشوى اليدان والرجلان والأطراف . والروانف أسافل الألية للقائم .

(٢) جمع لفيقة ما يلف به الرجل وغيره والمعنى ظاهر والصادعة من صدع بالحق إذا جهر به أى أن قول الرسول قد كشف أمره أمام قومه .

(٣) لبيد بن الأعصم ، قيل إنه عمل سحراً للنبي اتخذ له مثالا على صورته من شمع — وقيل من عجين — ثم غرز فيه إحدى عشرة عقدة . وكان للنبي خادم يهودى حمل شيئاً من شعره الشريف إلى لبيد فصنع السحر ووضعه فى بئر ذروان ونزل جبريل فأخبر النبي فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر .

(٤) شارف الرجل الشيء اطلع عليه من فوق .

(٥) كان شديد الطعن على المسلمين ، شديد الحسد لهم . مر يوماً على الأنصـار وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة . فقال : قد اجتمع بنو قيلة . والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، ثم أمر فتى من اليهود فقال له : اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث — يوم الحرب التى كانت بينهم — وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشـعار ففعل ، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتال . ونادى هؤلاء يا للأوس ، وهؤلاء يا للخزرج . ثم خرجوا وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ؛ فقال — يا معشر المسلمين الله الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعـد أن هداكم الله إلى الإسـلام وألفكم به ؛ وقطع عنـكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الـكفر إلخ . فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبـكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس ﴿ يا أهل الـكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ — الآية .

يذكّرهم يوم البعاث وما جنت ... رقاق المواضى والرماح الرواعف[(١)]

غلت نخوات القوم ممّا استفزّهم ... وراجعهم من عازب الرأى سالف[(٢)]

وخفوا يريدون القتال ، فردّهم ... نبىٌّ يردُّ الشرَّ والشرُّ زاحف

دعاهم إلى الحسنى ، فأقبل بعضهم ... يعانق بعضاً ، والدموع ذوارف[(٣)]

أتى ابن سلام يؤثر الحقّ ملة ... وينظر ما تأبى النفوس العوازف[(٤)]

تسلل يستخفى ، وأقبلَ قومه ... وللؤم منهم ما تضم الملاحف

فقيل : اشهدوا ، قالوا عرفناه سيداً ... تجلُّ مساعيه ، وتعلو المواقف

هو المرء لا نأبى من الدين ما ارتضى ... ولا ندع الأمر الذى هو آلف

فلما رأوه خارجاً ينطق التى ... هى الحق قالوا : عاثر الرأى عاسف

ظننا بهِ خيراً ، ولا خير فى امرىءٍ ... أبوه أبو سوءٍ على الشرّ عاكف

ظلمناه ، لم يوصف بما هو أهله ... فماذا له إن أخطأ الرشد واصف ؟

ترامَوا بألقاب إذا ما تتابعت ... تتابع شؤبوب من الذم واكف[(٥)]

---

(١) رقاق المواضى هى السيوف . والرواعف من رعف الدم إذا سال .

(٢) عازب : غائب .

(٣) ذوارف : من ذرف الدمع إذا سال .

(٤) جاء النبي فى دار أبى أيوب فأسلم وكتم إسلامه عن اليهود ، ورجع فقال : لقد علموا أنى سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم . فاخبئنى يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك ثم ادعهم فاسألهم عنى وخذ عليهم ميثاقاً إنى إذا اتبعتك وآمنت بك اتبعوك وآمنوا . فأرسل إليهم فجاءوا وقال لهم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فو الله الذى لا إلهَ إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئتكم بحق ، أسلموا ، فأبوا ، قال : فأى رجل فيكم ابن سلام . قالوا سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلامنا ، قال أرأيتم أن شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى . قالوا نعم . فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج وأظهر إسلامه ثم دعاهم إلى الإسلام وطفق يؤنبهم لإنكار ما علموا من أمر النبوة فى التوراة فقالوا كذبت . أنت شرنا وابن شرنا ونزلت فى ذلك (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم . إن الله لا يهدى القوم الظالمين — الآية) . العوازف جمع عازف وهو المصرف .

(٥) الألقاب المكروهة يتنابز بها القوم . والشؤبوب الدفعة من المطر وواكف من وكف إذا سال .

أهاب أبو أيوب ردوا حلومكم | أعند رسول الله تلقى المآزف[١]
وقال الرسول استشعروا الحلم ، إنما | يسود و يستعلى الحليم الملاطف[٢]
أتؤذون عبد الله أن يتبع الهدى؟ | فيا ويحه من مؤمن ـ ما يقارف؟[٣]
أهذا هو العهد الذى كان بيننا ؟ | أهذا الذى يجنى العقيد المحالف؟[٤]
تولوا غضاباً ، ما تثوب نفوسهم | ولا ترعوى أحقادهم والكتائف[٥]
يذيعون مكروه الحديث،وماعسى | يقولون ، والفرقان بالحقّ هاتف
إذا بعثوا من باطل القول فتنة | تلقفها من صادق الوحى خاطف
يشايعهم فى القوم كلُّ منافق | إلى كل ذى مشنوءةٍ هو دالف[٦]
شديد الأذى يبدى من القول زخرفاً | وكالسم منه ما توارى الزخارف
زحالفُ سوء ما يكفُّ دبيبها | وأهون شىء أن تدب الزحالف[٧]
أقاموا عَلَى ظلم كأن لم يكن لهم | من العدل يوماً لا محالة آزف[٨]
لكل أناس يعكفون على الأذى | معاطب من أخلاقهم ومتالف
رويد يهود . هل لها فى حصونها | من البأس إلا ما تظن السلاحف؟
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا | ولن يثبت البنيان والله ناسف
سيلقون بؤساً بعد أمن ونعمةٍ | فلا العيش فياح، ولا الظل وارف[٩]

---

(١) الأقذار .
(٢) استشعر الرجل الشىء جعله شعاره .
(٣) قارف الذنب خالطه .
(٤) المعاقد والمعاهد .
(٥) ثاب رجع بعد ذهابه . والكتائف جمع كتيفة وهى السخيمة والحقد .
(٦) المشنوءة . البغض والعداوة ـ دالف : ساع .
(٧) الزحالف دواب صغار لها أرجل تمشى شبه النمل .
(٨) آزف من أزف بمعنى قرب .
(٩) الفياح الواسع . وورف الظل اتسع وطال وامتد .

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة شهد النبي صلى الله عليه وسلم تسعاً وعشرين منها وغاب عن واحدة هي غزوة مؤتة ، فأما التي شهدها فهي : غزوة ودان ـ العشيرة ـ سفوان ـ بدر الكبرى ـ بني سليم ـ بني قينقاع ـ السويق ـ قرقرة الكدر ـ ذي امر ـ بحران ـ أحد ـ حمراء الأسد ـ بني النضير ـ ذات الرقاع ـ بدر الآخرة ـ دومة الجندل ـ بني المصطلق ـ الخندق ـ بني قريظة ـ بني لحيان ـ ذي قرد ، الحديبية ـ خيبر ـ وادي القرى ـ عمرة القضاء ـ حنين ـ الطائف ـ تبوك ـ فتح مكة . وقد استثنى الناظم من هذه الغزوات ما لا مجال فيه للقول .

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثاني عشر من رمضان) وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجلا ، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل ألفاً قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلا ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلا ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

ما للنفوس إلى العماية تجنحُ ؟   أتظنُّ أن السيف عنها يصفح ؟[1]

داويتَ بالحسنى فلجَّ فسادها   ولديك إن شئت الدواء الأصلح[2]

الإذن جاء فقل لقومك . أقبلوا   بالبيض تبرق ، والصوافن تضبح[3]

أفيطمع الكفار ألا يؤخذوا ؟   بل غرهم حلم يُمَدُّ ويفسح

---

(١) تجنح تميل .

(٢) الخطاب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

(٣) كانت الآيات التي نزلت بمكة تحض على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال . وكان مبدؤها في الثاني عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) وقيل إن الآية الأولى هي (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وكان الصحابة يأتون النبي بمكة بين مضروب ومشجوج فيقول : اصبروا فإني لم أومر بالقتال . والضبح صوت الخيل (دون الصهيل ـ أو عدوها . والصوافن الخيل .

أمنوا نكالك ، فاستبد طغاتهم أفكنت إذ تزجى الزواجر تمزح ؟
لا يستحون ،ولو تأذن ربهم عرفوا اليقين،وأوشكوا أن يستحوا
أملى لهم . حتى إذا بلغوا المدى ألوى بهم خطب يجل ويفدح[١]
من ناقضٍ عهداً . ومن متمردٍ يمسى على دين الغواة ويصبح
لما استقام الأمر لاح بشيرها غرٌّ سوافر من جبينك تلمحُ
ظمئتْ سيوفكَ يا محمدُ فاسقها من خير ما تسقى السيوف وتنضح[٢]
فَجِّرْ ينابيع الفتوح فريُّها ما تستبيح من البلاد وتفتح
الظلم أوردها الغليل ، وإنَّهُ لأشد ما تجد السيوف وأبرح[٣]
اليوم توردها الدماء فترتوى وتردها نشوى المتون فتفرح
المشركون عموا ، وأنت موكلٌ بالشرك يمحى ، والعماية تمسح
خذهم ببأسك ، لاترعك جموعهم فلأنت إن وزنوا الكتائب أرجح
ضلوا السبيل ، وفى يمينك ساطعٌ يهدى النفوس إلى التى هى أوضح
هفت العشيْرَةُ إذ نهضت تريدها والعيرُ دائبةٌ تشط وتنزح[٤]
تمشى مواقِرَ فى غواربها العلى أموال مكة فهى ميلٌ جنح[٥]

---

(١) أملى له أمهله وطول له ألوى بالرجل وبالشيء ذهب به .
(٢) بمعنى تسق .
(٣) الغليل حرارة العطش .
(٤) العشيرة موضع لبنى مدلج بينبع ، خرج إليها النبى فى جمادى الأولى . وقيل الثانية على رأس ١٦ شهراً من الهجرة فى ١٥٠ وقيل فى ٢٠٠ رجل من المهاجرين يريد عيراً لقريش سارت من مكة إلى الشام للتجارة كانت ألف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار . وكان قائدها أبو سفيان بن حرب ومعه مخرمة بن نوفل . وعمرو بن العاص . فلم يدركها النبى . فلما عادت من الشام خرج إليها . قيل إنها كانت سبباً لوقعة بدر . وكان اللواء فى العشيرة لحمزة بن عبد المطلب . وفى هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم وبين بنى مدلج . وكانوا حلفاء بنى ضمرة . وتشط تبعد
(٥) مواقر محملة أحمالا ثقيلة .

عُدْ باللواء ، وَقل لحمزة إنهم رهنٌ بمُرزمةٍ تسحُّ وتدلح(١)
تهوى غداة الروع فى طوفانها مهج الفوارس ، والمنايا تسبح(٢)
هذا الفتى الفهرىُّ أقبل جامحاً يغزو المدينة والمضلَّلُ يجمح(٣)
ولى يسوق السَّرْح لو لم توله سعةً لضاق به الفضاء الأفيح(٤)
دعه . فإن له بمكة مشهداً يرضيك ، والشهداء حولك تطرح(٥)
ذَهَبَ ابن حربٍ فى تجارة قومه ولسوف يَعْلَمُ من يفوز ويربح(٦)
نسرٌ مضى متصيّداً ، ووراءه يومٌ تصــادُ به النُّسور وتذبح
بينا يحيـد عن السهام أصابه نبأٌ تصاب به السهام فتجرح
بعث ابن عمرو ما لـكم من قوة إن مالـكم أمسى يُلَمُّ ويكسح(٧)
واهاً قريشُ إنه الدم ، فاعلموا من دون بيضتـكم يراق ويسفح
تردون برد الأمن ، والنار التى أنتم لهـا حطبٌ تشبُّ وتقدح
إن كنت لم أُفصح لخطبٍ هالنى فســـلوا بعيرى إنه هو أفصح

---

(١) من أرزم الرعد إذا اشتد صوته . والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها . يقال سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره منقبض الخطو لثقل حمله .

(٢) الروع بمعنى الحرب وأصله الفزع .

(٣) هو كرز بن جابر الفهرى ، كان من رؤساء المشركين أغار على سرح من الإبل والمواشى كان بالمدينة بعد رجوع النبى من العشيرة بليال . فخرج صلى الله عليه وسلم يطلبه . فلما بلغ سفوان ــ موضع من ناحية بدر ــ فاته كرز ، وكان اللواء بيد على بن أبى طالب ــ أسلم كرز وصحب وأمر على سرية ، وقتل فى فتح مكة . رضى الله عنه .

(٤) الأفيح الواسع .

(٥) إشارة إلى إسلام كرز بن جابر واستشهاده .

(٦) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبى فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم ابن عمرو الغفارى يستنفر قريشاً بمكة واستأجره بعشرين مثقالا على أن يأتى مكة ويجدع أنف بعيره . ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ثم يصرخ ببطن الوادى على بعيره . اللطيمة اللطيمة ــ هى العير تحمل الطيب والبز ــ أموالـكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد ، إنـكم إن أصابها لن تفلحوا أبدا ، الغوث ، الغوث فنفر الناس وتخلف أبو لهب .

(٧) يكسح يؤخذ كله .

وخُذُوا النّصيحة عن قُيصى إنه لَأَجَلُّ من يعظ النّيام و ينصح
إنى صدقتكم البلاغَ لتعلموا وجبالُ مكة شُهّدٌ والأبطح
جفلت نفوس القومِ ، حتى مالها لُجُمٌ تردُّ ، ولا مقاوِدُ تكبح[١]
وأبَى أبو لهب مخافة ما رأت فى النوم عاتكة فما يتزحزح[٢]
وأرى أُميَّةَ لو تأخَّر حينهُ لرآه عُقْبَةُ ثاوياً ما يبرح[٣]
يرميهِ بالهذر القبيحِ يلومُهُ ويَسُومُه الخلق الذى هو أقبح
غشَّاه سعدٌ روعةً ما بعدها لذوى المخافةِ فى السلامةِ مطمح[٤]

---

(١) جفلت انزعجت .

(٢) نفر الناس للقتال وتخلف أبو لهب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عمة النبى (مختلف فى إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفا من كفار قريش — رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته — ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم فى ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، ، فبينما هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها . ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة .

قال العباس : إنها لرؤيا عظيمة فاكتميها . وخرج فلقى الوليد بن عقبة وكان صديقاً له فذكرها له واستكتمه . فذكرها الوليد لأبيه . فتحدث بها وفشا الحديث . ومر العباس على أبى جهل وهو فى رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا فقال له : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما رجع قال له أبو جهل — يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟

جاء ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك مصداقا لها — بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيره وكان له أربعة آلاف درهم ديناً عليه ثم عجز عن أدائها فجعلها أجراً له — وقد قتل العاص فى غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب .

(٣) أمية بن خلف ، أراد التخلف وكان شيخاً ثقيلا فجاءه عقبة بن أبى معيط وهو جالس مع قومه بمجمرة فيها بخور ثم وضعها بين يديه وقال له : استجمر فإنما أنت من النساء . وكان أبو جهل هو الذى دعا عقبة إلى ذلك . ومن قول أبى جهل لأمية : إنك سيد أهل الوادى فإن تخلفت تخلفوا — فتجهز وخرج . والحين الموت والثاوى المقيم .

(٤) سعد بن معاذ ، قدم مكة معتمراً فنزل على أمية كما كان ينزل هو عليه بالمدينة فى طريقه إلى الشام فأخبره أن النبى سيقتله — والمراد جند النبى — فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج .

نفروا يريدون القتال وغرّهم ... عبث اللواتى فى الهوادج تنبح(١)

غنّتْ بهجو المسلمين ، وإنّها ... لَأَضَلُّ من يهجو الرجالَ ويَمدح

الضّاربات على الدُّفوف ، فإن هم ... ضربوا الطُّلَى ، فالنّادباتُ النُّوّح(٢)

تلك المآتمُ ، ما تزال ثقالها ... تمشى الوئيد بها المطايا الطُّلَّح(٣)

أخذوا السلاح ، وقد أغار لأخذهم ... جندٌ بآياتِ الكتابِ مسلح

فيهم من الأنصار كلُّ مشيَّعٍ ... يمضى إذا نكص اليراعُ الزُّمَّح(٤)

كانوا على عهدٍ مضى فأتمّهُ ... لإلٰهِهِمْ عهدٌ أبرُّ وأسمح(٥)

سعدٌ يُهيبُ بهم ، وسعدٌ قائمٌ ... تحت اللواء بسيفه يتوشّح(٦)

ما أصدق المقداد حين يقولها ... حرّى ، وبعض القولِ نارٌ تلفح(٧)

إنّا وراءك يا محمّدُ نبتغى ... ما اللهُ يعطى المتقين ويمنح

---

(١) خرجت قريش ومعها النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . وحكيم بن حزام (أسلم بعد ذلك) وأبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث . والعباس بن عبد المطلب . وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (أسلم) .

(٢) الطلى الاعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة .

(٣) الوئيد المشى فى بطء . وطلحت المطايا أعيت .

(٤) اليراع الجبان ، والزمح الضعيف .

(٥) خرج الأنصار فى هذه الغزوة ولأول مرة لأنهم حين بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعقبة قالوا له ــ إنا براء من ضمانك ــ أى مناصرتك ــ إلا أن تكون فى دارنا ــ فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود ــ يا رسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك . لسنا نقول لك ماقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال .

(٦) الأول سعد بن عبادة كان يأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج ، وقد لدغته ــ رضى الله عنه ــ حية فتخلف وقال النبى . لئن كان سعد لم يشهدها (الغزوة) لقد كان عليها حريصاً . ثم ضرب له بسهمه وأجره ، والثانى سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه تقلد به .

(٧) لفحته النار أحرقته .

لسنا بقومِ أخيك موسى إذ أبَوْا ... إلا القعود ، وسُبَّةً ما تضرح[1]
هذا علىٌّ فى اللواء ، ومُصعبٌ ... والنصرُ فى عِطْفَيْهما يترنّح[2]
حَمَلا لِوَائيه ، فلو صدحَ الهدى ... فى مشهدٍ جللٍ لأقبلَ يصدح
هذا رسولُ اللهِ من يك مؤمناً ... فإليه إنَّ طريدهُ لا يفلح
الموتُ فى يدهِ ، وعنـد لوائهِ ... ريحُ الجنانِ لمن دنا يستروح[3]
إن يملك المـاءَ العدوُّ فقـد همَى ... سيلٌ جرى شؤبوبُه يتبطّح[4]
هى دعوةُ الهادى الأمينِ ونفحةٌ ... ممّن يسـوقُ الغيثَ فيما ينفح
مَكَرَ الحُبابُ بهم فغوّر ماءهم ... والمكرُ فى بعضِ المواطنِ أنجح[5]
نبِّيءْ عُمَيْرُ سراةَ قومك ، إنهم ... زعموا المزاعم ، والحقائقُ أروح[6]
نَبِّئهمُ الخبرَ اليقينَ ، وصِفْ لهم ... بأسَ الألى جمعوا لهم وتبجّحوا
واذكر سميّك إذ يقولُ محمدٌ ... إرجع عُمَـير فدمعُه يتسحّح[7]

---

(١) ضرح الشيء دفعه ونحاه .

(٢) عقد النبي لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع على بن أبي طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ . وقيل مع الحباب ابن المنذر ، ولبس النبي درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب) .

(٣) استروح الشيء تشممه .

(٤) سبق المشركون المسلمين إلى المـاء ببدر فلقى الأولون عناء ، ودعا النبي فانهمرت السماء فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موقع الجيش وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام ، تبطح السيل اتسع فى البطحاء وسال عريضاً .

(٥) الحباب بن المنذر أشار على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل وأمر بالقلب فغورت . وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشاً شديداً ووهنت قواهم .

(٦) عمير بن وهب الجمحى (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش ليرى كم عدد المسلمين فجال بفرسه حول العسكر وعاد يقول ـ يا معشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، رجال يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرساً لا يتـكلمون ؟ ؟ يتلمظون تلمظ الأفاعى ، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهليهم ، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم .

(٧) عمير بن أبى وقاس أخو سعد بن أبى وقاس ، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة فأمر النبي برده لصغر سنه فبكى فأذن له فى القتال .

أذن النبيُّ له ، فأشرق وجهه ولقد يُرى وهو الأحمُّ الأكفح(١)
بطلٌ من الفتيان يحملُ فى الوغى ما يحملُ البطلُ الضّليعُ فيرزح(٢)
قال يا حكيمُ فما بعُتْبَة ريبةٌ مولى العشيرةِ للهُمّ يرشّح(٣)
نصح الرجال فردَّهم عن نصحه نشوانُ يمـلأه الغرورُ فيطفح(٤)
ربّ اسقه بيـدِ النبيِّ منيَّةً بعذابك الأوفى تُشابُ وتُجدح(٥)
إيهٍ أبا جهلٍ نُصرت بفارسٍ يَلقى المنيّـة منه أغلبُ شيِّح(٦)
أراده حمزةُ عند حوضِ محمّدٍ فانظر : أتُقْدِم . أم تحيدُ وتكفح(٧)

---

(١) الأحم والأكفح كلاهما بمعنى الأسود .

(٢) الضليع القوى الشديد الأضلاع . والرازح الهالك هزالا .

(٣) حكيم بن حزام ، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال : ياأبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع . هل لك أن تذكر بخير إلى آخر الدهر . فقال : وما ذاك يا حكيم ، قال : ترجع بالناس وعليك أن تحمل دم الحضرمى الذى قتله عبد الله بن واقد فى سرية ابن جحش وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم فإنك ذو مال كثير وقريش لا تريد سوى ذلك ، فقبل عتبة وركب جملا له أحمر طاف به على القوم وهو يقول يا قوم أطيعونى ، على دم الحضرمى وما أخذ من العير ، أنشدكم الله فى الوجوه التى تضىء ضياء المصابيح (يعنى وجوههم) أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات (يعنى وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسى وقولوا ، جبن عتبة .

(٤) هو أبو جهل ، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه فغضب وأفسد على الناس نصحه قائلا . إنه يخاف على ابنه يعنى أبا حذيفة . فإنه كان مع النبى . وبعث إلى عامر بن الحضرمى يقول : هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس ، فاطلب أنت بدم أخيك . فجاء عامر وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ ، واعمراه . واعمراه . فثارت النفوس ، وأخفق المسعى .

رأى النبى عتبة وهو يطوف على جمله ينصح الناس . فقال صلى الله عليه وسلم : إن يكن فى أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر . إن يطيعوه يرشدوا .

(٥) تجدح تخلط .

(٦) هو الأسود المخزومى كان شرساً سيىء الخلق . قال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه . أو لأموتن دونه ، ثم أقبل فضربه حمزة بن عبد المطلب فوقع صريعاً ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق فى يمينه فقتله حمزة فى الحوض . وهو أول قتيل من المشركين فى بدر الشيح المقاتل أو الجاد فى الأمر

(٧) كفح بمعنى جبن .

رامَ الورود ، فما انثنى حتّى ارتوت ... من حوضِ مُهجته المنايا القُمَّح[١]

جِدّ البلاء ، وهب إعصار الردى ... يرمى بأبطـال الوغى ويطوح

نظر النبيُّ ، فضجّ يدعو ربَّه ... لا هُمّ نصرك ، إننا لك نـكدح[٢]

تلك العصابةُ ما لدينك غيرها ... إن شد عادٍ ، أو أغار مجاّح[٣]

لولا تُقـيم بناءه وتحـوطه ... لعفا كما تعفو الطُّلول وتمصح[٤]

لاهُمَّ إن تهلك فما لك عابدٌ ... يغـدو على الغبراء أو يتروح[٥]

جاشـت حَمِيَّتُه ، وقام خليـلُه ... دون العريشِ يذودُ عنه وينضح[٦]

وتغوّلت صـور القتالِ ، فأقبلا ... والأرض من حوليهما تترجّح[٧]

فى غمرةٍ ضمن الحِفاظُ لقاحها ... فالحرب تسدحُ بالـكُماةِ وتردح[٨]

إستَبْق نفسك يا أبا بكرٍ وقِفْ ... إن ضجَّ من دمِك الزكىِّ مصيِّح[٩]

أعرض عن ابنك إنّ موتك لِلّذى ... حمل الحياة إلى الشعوبِ لمترح[١٠]

صلّى عليـهِ اللهُ حين يقولهـا ... والحرب تعصفُ والفوارس تكلح[١١]

---

(١) يقال إبل قمح أى رافعة الرءوس . غاضة العيون . وهذا إذا رويت من الماء .

(٢) يكدح : يسعى ويعمل .

(٣) المجلح ـ المقدم من جلح السبع على القوم إذا حمل عليهم .

(٤) من مصحت الدار إذا اندرس أثرها .

(٥) تروح سار فى الرواح أى العشى ، وفى الأبيات إشارة إلى دعاء النبى ربه بقوله (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد) .

(٦) خليله ـ أبو بكر ، والعريش الذى أشار سعد بن معاذ ببنائه للنبى ليشرف منه على المعركة ، وينضح ـ يدافع .

(٧) تغولت تلونت ، وتترجح تهتز .

(٨) من سدحت المرأة وردحت إذا أكثرت من النسل وثبتت . والـكماة جمع كمى ، والـكمى الشجاع .

(٩) يشير إلى عزم أبى بكر على مبارزة ابنه عبد الرحمن لما طلب المبارزة وكان لايزال على الشرك ثم أسلم فى هدنة الحديبية .

(١٠) مترح ـ محزن .

(١١) تكلح ـ تكشر فى عبوس .

الله ، لا ولد أحب ولا أب منه ، فأين المنتأى والمنزح ؟[١]
أفما رأيت أبا عبيدة ثائراً وأبوه فى يده يتل ويسطح[٢]
بطل تخطر أم تخطر مصعب صلب القَرا ضخم السنام مكبح ؟[٣]
أرأيت إذ هزم النبي جموعهم فكأنما هزم البغاثَ المضرح ؟[٤]
هى حفنة للمشركين من الحصى خف الوقور لها وطاش المرجح[٥]
مثل الثميلة من مجاجة نافث وكأنما هى صيب يتبذح[٦]
الله أرسل فى السحاب كتيبة تهفو كما هفت البروق اللمح[٧]
تهوى مجلجلة تاهب أعين منها . وتقذف بالعواصف أجنح[٨]
للخيل حمحمة تراع لهولها صيد الفوارس ، والعتاق القرح[٩]
حيزوم أقدم . إنما هى كرة عجلى تجاذبك العنان فتمرح[١٠]
جبريل يضرب . والملائك حوله صف ترض به الصفوف وترضح[١١]
تلك الحصون المانعات ، بمثلها تذرى المعاقل والحصون وتذرح[١٢]

---

(١) المنتأى محل البعد ، والمنزح من نزح إذا بعد .

(٢) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه وكان مع المشركين ليقتله فأعرض عنه فطارده ، فقتله أبو عبيدة ويتل ويسطح بمعنى يصرع .

(٣) المصعب الفحل ومن الجمال مالم يركب ، وصلب القرا ـ شديد الظهر ، ومكبح شامخ والبيت في وصف أبي عبيدة .

(٤) البغاث ضعاف الطير ، والمضرح ـ الصقر الطويل الجناح .

(٥) المرجح الحليم ، والبيت يشير إلى أن النبى رمى المشركين بحفنة من الحصى فلم يبق منهم رجل إلا نال عينيه منها ثم انهزموا وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى .

(٦) الثميلة البقية والصيب المطر وتبذح السحاب امطر .

(٧) كتيبة قطعة من الجيش ، تهفو . تسرع وفى البيت وما بعده إشارة إلى إمداد الله المسلمين بالملائكة فى غزوة بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) .

(٨) مجلجلة ـ مرعدة ، وأجنح جمع جناح .

(٩) القارح من الخيل الذى شق نابه وطلم .

(١٠) حيزوم اسم فرس جبريل .

(١١) ترضح تكسر .

(١٢) تذرى وتذرح بمعنى .

للقوم من أعناقهم وبنانهم نار تريك الداء كيف يبرح[١]
جفت جذور الجاهلية ، والتوى هذا النبات الناضر المسترشح[٢]
طفق الثرى من حولها لما ارتوى من ذوب مهجتها يجف ويبلح[٣]
ومن الدم المسفوح رجس موبق ومطهر يلد الحياة ويلقح[٤]
أودى بعتبـة والوليـد وشيبة وأمية ، القدر الذى لا يدرح[٥]
وهوى أبو جهل ونوفل وارعوى بعد اللجاج الفاحش المتوقح[٦]

---

(١) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) والمبرح المؤلم .

(٢) استرشح النبات طال .

(٣) يبلح ييبس .

(٤) موبق مهلك .

(٥) عتبة بن ربيعة . برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار فقال . انما أريد أ كفائى من قريش ونادى مناديهم . يامحمد أخرج إلينا أ كفاءنا فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلى رضى الله عنهم فقتل على الوليد ، وقتل حمزة عتبة . وتبادل عبيد وشيبة ضربتين أثرتا فيهما فكر حمزة وعلى فأجهزا على شيبة . ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل وكانت الضربة فى ركبتيه فأفرشه النبى قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له صلى الله عليه وسلم : أشهد أنك شهيد ، قال عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله .

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال : —

فإن يقطعوا رجلى . فإنى مسلم أرجى به عيشاً من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه لباساً من الإسلام غطى المساويا

مات رضى الله عنه من هذه الضربة فهو من شهداء بدر ويقصد الوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف الذى قتله بلال . والى هذا سبقت الاشارة فى القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات .

أرنى يديك . أفيهما لأمية ورد من الموت الذعاف مثمل ؟
للسيف سيف الله أهول موقعاً من صخرة تلقى . وحبل يفتل
لك فى غد دمه إذا التقت الظبى تحت العجاجة . والرماح الذبل

لايدرح لا يدفع .

(٦) أبو جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح . ومعوذ بن عفراء من الأنصار وأجهز عليه ابن مسعود ، ونوفل بن خويلد ، قال النبي . من له علم بنوفل بن خويلد . قال على . أنا قتلته =

لما رأى الغازى المظفر رأسه أهوى يكبر ساجدا ويسبح[١]
فى جلده من رجز ربك آية عجب ، تفسر للبيب وتشرح[٢]
تلك السطور السود ضم كتابها أبهى وأجمل ما يرى المتصفح
إن لم يغيب فى جهنم بعدها فلمن سواه فى جهنم يضرح[٣]
أدركت حقك يا بلال فبوركت يدك التى تركت أمية يشبح[٤]
واف المطار ، ووال يا ابن رواحة زجل الحمام إذا يطير ويسجح[٥]
هذا ابن حارثة يطوف مبشرا بالنصر يخزى الكافرين ويفضح
لما تردد فى البـــلاد صداكما أمست قلوب المسلمين تروح
فكأن كلا معرس وكأنما منه ومنك مهنئ ومرفح[٦]
قل يا أبا سفيان غير ملوح فالنصر يخطب والسيوف تصرح[٧]
بيض على باق تساقط حولها سود مذممة تساف وترمح[٨]

= فكبر صلى الله عليه وسلم وقال . الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه . فإنما لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع . يامعشر قريش . اليوم يوم ارفعة والعلا ، فقال النبي . اللهم أكفنى نوفل بن خويلد الفاحش المتوقح المراد به أبو جهل لعنه الله وهو المسمى فرعون هذه الأمة على لسان الرسول الكريم وارعوى كف .

(١) لما جىء للنبى برأس أبى جهل سجد لله شكراً ، وقال: الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

(٢) الرجز : العذاب ، وقد وجد فى جسد أبى جهل آثار سود كآثار ضرب السياط .

(٣) يضرح : يدفع أو ينحى أو يقبر .

(٤) أمية بن خلف قتله بلال ، وكان يعذبه ليرده عن دين الله ، ويشبح يشق ويفعل به كالجلد المشبوح .

(٥) سجحت الحمامة سجعت ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى إرسال عبد الله ابن روحة إلى أهل العالية وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة لإخبارهم بالنصر .

(٦) أعرس الرجل بأهله بنى عليها — ومرفح من رفحه أى قال له : بالرفاء والبنين .

(٧) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام لما سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش قال : هلم إلى عندى الخبر ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم فنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ، فغضب أبو لهب .

(٨) تطعن بالسيوف وبالرماح .

ذهبوا وأخلفهم رجاء زلزلوا ... فيه ، فزال كما يزول الضحضح[1]

أكذاك تختلف الزروع فناضر ... ضافى الظلال ، وذابل يتصوح

القوم غاظهم الصحيح فزيفوا ... ومن الأمور مزيف ومصحح

خطأ الزمان فشا فلاذ بصوابه ... وانظر كتاب الخلق كيف ينقح

جاء الإمام العبقرى يقيمها ... سننا مبيّنة لمن يستوضح

مَصرع أبى جهل *

ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود .. وكان سيف ابن مسعود كليلا فقال له أبو جهل: خذ سيفى فاحتز رأسى به ففعل .. وقال له وهو يعلو صدره ليحز رأسه : لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعباً ، لو غير أكار قتلنى (الأكار الزراع وكان الأنصار أهل زرع) وقد أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم سيفه .

بسيفك فيما اخترت من عاجل القتل ... سقيت ذعاف الموت ، فاشرب أباجهل

هو السيف ، لولا الجبن لم يمض حده ... ولم يرض فى جد الكريهة بالهزل

شهدت الوغى ، تبغى على الضعف راحة ... لنفسك من حقد مذيب ومن غل

أفرعون إن تجهل ، فلن تجهل الوغى ... فراعينها من ذى شباب ومن كهل[2]

أصابك فيها ما أصابك من أذى ... وفاتك ما نال الرويعى من فضل

رماك معاذ قبله ومعوذ ... وجاءك مشبوباً حميته تغلى

سقى السيف عفواً من دم لك طيع ... فمن مرتقى صعب إلى مستقى سهل

دع الهزل يا ابن الحنظلية إنه ... هو الجد كل الجد لو كنت ذا عقل

---

(١) الضحضح : السراب .

(٢) كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول عن أبى جهل : أنه فرعون هذه الأمة .

(*) جاءت هذه القصيدة فى المصورة بعد القصيدة الآتية .

هى اللات والعزى أضلتك هذه — وزادتك هذى من ضلال ومن خبل (١)
مضى جارك المأفون خزيان وانقضت — حبالك فانظر: هل ترى الآن من حبل (٢)
لقد كنت ترجو أن ترى الهبل الذى — رضيت به رباً يفوز ويستعلى
أصبت ابن مسعود سناء ورفعة — وباء عدو الله بالخزى والذل
فخذ سيفه، ثم ارفع الصوت شاكراً — فما بعد ما أعطاك ربك من سؤل

صدى الوقعة فى مكة

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيراً ، وحزن المشركون حزناً شديداً فأقيمت المآتم وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره فى الملحمة الخائية . فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال : لقينا رجالا بيضاً على خيل بلق . . قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك والله الملائكة . . فضربه أبو لهب فى وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة (لبابة) عموداً فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة . وقالت استضعفته أن غاب سيده ، فولى ذليلا . ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات » .

وضح اليقينُ لمن يرى أو يسمع — ولقلما تجدى الظنون وتنفع

---

(١) كان المسلمون يقولون فى هذه الوقعة : الله مولانا ولا مولى لكم ، وكان أبو جهل يقول لنا العزى ولا عزى لكم .

(٢) تمثل إبليس فى صورة سراقة بن مالك للمشركين وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، وكانت يده فى يد الحارث بن هشام أخى أبى جهل ، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده ، ثم نكص على عقبيه ، فقال له الحارث : يا سراقة أتزعم أنك جار لنا ؟ قال : إنى برىء منكم « إنى أرى ما لا ترون ، إنى أخاف الله رب العالمين » فتشبث به الحارث وقال ، والله لا أرى إلا خفافيش يثرب ــ قال الحارث : ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت . .

لما قتل رؤساء المشركين قال أبو جهل : يا قوم لا يهولنكم قتل من قتل ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال . . لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد . .

النصر حقٌّ ، والنبيُّ صادقٌ ... والويل للمغرور ، ماذا يصنع ؟
إخشع أبا لهب فان تك ذا عمىً ... فجبال مكة والأباطح خشع
مولى رسول الله يضرب ماجنى ... ذنبا ولم يك كاذبا يتشيع
هى يا أبا لهب كتائب ربه ... نزلت تذلّ الكافرين وتقمع
أخذت لبابة للضعيف بحقه ... ومضى الجزاء ، فأنت عان موجع[1]
وشفته منك بضربة ما أقلعت ... حتى رمتك بعلة ما تقلع[2]
قالت بغيت عليه واستضعفته ... أن غاب سيدّه وعزّ المفزع ؟
ما بالعمود ولا برأسك ريبة ... ان الغوىّ بمثل ذلك يردع
حييت أمّ الفضل تلك فضيلة ... فيها لك الشرف الأعز الأمنع
الله أهلكه بداء ماله ، ... شاف ولا فيه لآس مطمع
تمضى البشائر جولا ، وتجول فى ... دمه السموم ، فجلده يتمزع
أمسى المكاثر بالرجال مبغضا ... يجفى على قرب المزار ويقطع
أكلته صاعقة العمود وإنما ... أكلته سبع بعد ذلك جوع[3]
هم غادروه ثلاثة فى داره ... لا الدار تلفظه ، ولا هو ينزع[4]
رجموه لو كره السفاهة فارعوى ... ماساء مهلكه ، وهال المصرع
ما أكثر الباكين ملء جفونهم ... للجمع بالبيض الواتر يصدع
جز النساء شعورهن وغودرت ... للحزن منهن الدموع الهمع
رجعن مكروه العويل على أسى ... والميت يشدو ، والحطيم يرجع

(١) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين وكانت من السابقات إلى الإسلام .

(٢) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها وتخاف عدواها أشد الخوف ، فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات .

(٣) الليالى السبع التى مات بعدها

(٤) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد فى حفرته . وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

والمسلمون بنعمة من ربهم فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر لا مرد لحكمه هو ربنا ، وإليه منا المرجع

سَوادبْن غَزِيَّة

حليف بنى النجار

كان من أفراد الجيش فى هذه الغزوة ، فرآه النبى صلى الله عليه وسلم خارجا عن الصف وهو يعدل الصفوف ، وكان بيده سهم فطعنه به فى بطنه ، وقال له : استويا سواد فقال يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأعطنى القصاص فكشف الرسول الكريم عن بطنه ، وقال : استقد (أى خذ قودك وهو القصاص) فاعتنقه سواد وقبل بطنه الشريف .

يوم بدر ، وأنت أعلى مقاما إن ذكرنا من بعدك الأياما
ما ذكرنا بك القواضب يقظى أنت أيقظتها شعوبا نياما
غرقتْ فى الظلام لا تحسب البغى ذميما ولا الفسوق حراما
تكره العدل فى الحقوق وترضى حين يأبى ساداتها أن يقاما
استقم يا سواد فى الصف واعلم أن للجيش فى الحروب نظاما
يا لها يا سواد طعنة سهم صادفت منك أريحيا هماما
لو يريد الأذى بها لم تطقها من يعاف الأذى ويأبى العراما[1]
عدل الصف فاستوى وقضى الأمر على شرعة الهدى فاستقاما
إنها شرعة لربك يمضيها فتهدى الشعوب والأقواما

(١) العرام الشدة .

تمنع المرء ذا البراءة أن يُؤ ذَى ، وتحمى الضعيف من أن يضاما
وتريه القوىّ يذعن للحق ويبغى بجانبيه اعتصاما
قلت أوجعتنى وقد جئت بالحق وبالعدل رحمة وسلاما
القصاصَ القصاصَ إنى أراه يا إمام الهداة أمرا لزاما
قال : هذا بطنى لبطنك كفؤ فاستقد ، إن للضعيف ذماما
طابت النفس يا« سواد » وعاد الآ ن بردا ما كان منها ضراما[1]
واعتنقت الرسول بعد شكاة فاعتنقت الخلال غُرّا وساما
وابتدرت البطن المطهّر لثما فابتدرت الخيرات شتى عظاما
ها هنا العدل والسماحة والإحسان ، أعظم بذا المقام مقاما
أدب الله عبده وهداه واصطفاه للمتقين إماما
أى دين كدينه فى علاه أى قوم كالمسلمين القدامى
أرأيت الضعاف فى كل أرض كيف أمسوا للأقوياء طعاما ؟
حرموا الطيبات بغيا وظلما واستحلوا الذنوب والآثاما
رب إن شئت للشعوب حياة فابعث المسلمين والإسلاما
ابعث النور فى الممالك يهدى كل شعب غوى ، ويمحو الظلاما

---

(١) ضراما مشتعلا .

أصحابُ القليبْ

كانوا أربعة وعشرين رجلا هم . عتبة بن ربيعة . أمية بن خلف أبو جهل بن هشام . عبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة . سعيد بن العاص ابن أمية . حنظلة بن أبي سفيان . الوليد بن عتبة . الحارث بن عامر . طعيمة بن عدى . نوفل بن عبد ، زمعة وعقيل ابنا الأسود . العاص بن هشام أخو أبي جهل . أبو قيس بن الوليد . نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمى على بن أمية بن خلف . عمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة . مسعود ابن أبي أمية أخو أم سلمة . قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومى . الأسود ابن عبد الأسد أخو أبي سلمة . أبو العاص بن قيس بن عدى السهمى ، أمية ابن رفاعة .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فألقوا فى القليب إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل — تقطعت أو صاله — فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فهم أربعة وعشرون إذا استثنياه جاء النبي إلى القليب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادى زعماءهم باسمائهم ويقول ، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً فإنى وجدت ماوعدنى الله حقا . وفى رواية أنه قال لهم — بئس عشيرة كنتم لنبيكم . كذبتمونى وصدقنى الناس . وأخرجتمونى وآوانى الناسُ . وقاتلتمونى ونصرنى الناس جلس عمير الجمحى مع صفوان بن أمية بن خلف بالحجر فتذكرا ما أصاب قريشاً يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ، والله ما فى العيش خير بعدهم ، فقال عمير — صدقت أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء . وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لكنت آتى محمداً حتى أقتله ، وإن لى فيهم علة — إبنى أسير فى أيديهم . فاغتنمها صفوان وقال له على دينك . أنا أقضيه عنك . وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، فتعاقدا على ذلك . وأخذ عمير سيفه فشحذه وسمه ، ثم انطلق حتى قدم المدينة . ودخل به عمر على النبي وهو آخذ بحمالة سيفه فى عنقه فقال صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر — إدن ياعمير — ما الذى جاء بك — قال جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم ، يعنى ولده وهباً . قال : فما بال السيف — قال وهل أغنت السيوف عنا شيئاً — قال النبي : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر وذكر له ما كان بينهما . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله الحمد لله الذى هدانى للاسلام

قال النبي لأصحابه حين أسلم عمير ، فقهوا أخاكم فى دينه . وأقرئوه القرآن . وأطلقوا له أسيره ففعلوا وأسلم ابنه ، رضى الله عنهما .

كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة ، أبشروا

بوقعة تنسيكم وقعة بدر .
أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم وادياً مملوءاً من النعم ، وكان يسمى سيد البطحاء .

تلك عقبى البغى فانظر كيف عادا ؟ يا له من مصعب ألقى القيادا
أرأيت القوم شرًّا ، وأذى ؟ ورأيت القوم ناراً ورمادا ؟
غيبوا فى حفـرةٍ مسجورةٍ تخمد الدنيا وتزداد اتقادا[1]
ملئت رعباً ، وزيدت روعةً من عذاب كان ضعفاً ثم زادا
قف عليها ، وتبيَّن ما بها هل ترى إلا انتفاضاً وارتعادا ؟
يا لهم إذ زعموا أصنامهم تعجز الله كفاحاً وجلادا
جلَّ ربى . لم يغادر بأسه أنفساً منهم ، ولم يترك عتادا
خاصموا الله ، وعادَوا جنده وأرى الأصنام أولى أن تعادى
هى غرتهم فضلُّوا وعتوا واستحبوا الكفر بغياً وعنادا
حاقوا بالأمس فى طغيانهم ثمَّ بادوا فى مهاويه وبادا
عظةٌ فى التُّربِ كانت فتنةً وعذابٌ كان شرًّا وفسادا

* * *

كلْ هنيئاً من قليب قرمٍ[2] يبلـعُ الكفار مثنى وفرادى
طال منك الصَّوم ، واشتدَّ الطَّوى[3] فخذ القوم التهامًا وازدرادا
جرَّبوا الحرب ، وجاءوا فلقوا غُممًا جلَّى ، وأهوالاً شدادا
سمعوا الصوت ، وما من ناطقٍ يخبر السائل منهم حين نادى
يا رسول اللهِ هم فى شأنهم غمرةٌ تطغى ، وبلوى تمادى

---

(١) مسجورة موقدة .
(٢) القرم الشديد الشهوة للحم .
(٣) الطوى الجوع .

صدقَ الوعد ، فكلٌّ موقنٌ ... يا له منهم يقيناً لو أفادا
أنكروا الحقَّ ، وراموا غيره ... فكأنَّ الله لا يجزى العبادا
هكذا من يعبدُ الطاغوت . لا ... يتّقى ربًّا ، ولا يرجو معادا
جلّ ربى وتعالى . إنَّهُ ... بالغٌ من كلّ أمرٍ ما أرادا
إرفعى يا دولة الحقّ العمادا ... وأقيمى يا طواغيت الحداد
أىُّ حقٍّ ذلَّ فى سلطانه ؟ ... أىُّ زورٍ عزَّ فى الدُّنيا وسادا ؟
إنّ للهِ سيوفاً خُذُمًا ... وجنوداً لا يَملُّون الجهادا[1]
بعث الأسطولَ فى آياتهِ ... جائلاً يُعيى الأساطيل اصطيادا
قُوّةٌ أرسلها من أمره ... تفتحُ الدُّنيا ، وتحتلُّ البلادا
إنّ كلَّ الخير يا صفوان فى ... مهلكِ القومِ ، فلا تعدُ الرشادا
دع عميراً لا تهجه ، واتّئد ... إنَّ للعاقلِ فى الأمرِ اتئادا
أخذ السَّيف صقيلاً مرهفاً ... يأخذُ الأبطال والبيض الحدادا
ظلَّ يسقيهِ ، وما أدراه هل ... كان سُمًّا ما سقاه ، أم شِهادا ؟[2]
كره الحقَّ ، فلمّا جاءه ... نبذ الحقد ، وأصفاه الودادا
من حديثٍ أنبأ اللهُ بهِ ... خير من حدَّث عنهُ فأجادا
قال : أسلمتُ لربى وكفى ... بالسّبيل السّمح ديناً واعتقادا
إقرأ القرآن ، واتبع هديَهُ ... يا عمير الخير إنْ ذو الغىِّ حادا
إنّهُ النُّور الذى يجلو العمَى ... إنّهُ السِّرُّ الذى يُحيى الجمادا

* * *

أين يا صفوان ما أمّلته ؟ ... أين ما حدَّثت تستهوى السَّوادا ؟[3]

---

(١) خذما قاطعة .
(٢) جمع شهد .
(٣) السواد العدد الكثير . ومنه السواد الأعظم .

يالها داهيـــةً طارت بها أعقب الجوّ ، وقد كانت نآدا[1]
لا تظنّ الجود ديناً يُشْتَرَى سترى الجود الْمُصَفّى والجوادا
ستراه وادياً من نعمٍ يعجزُ الآمال سعياً وارتيادا
هو من فيضِ العُبابِ المرتمى يتقَصّى الأرض مدًّا واطّرادا
الرسولُ السَّمحُ ، والمولى الذى يسعُ الأجيـالَ برًّا وافتقادا
إقترح ما شئت واطمع لا تخف من ندى كفّيه نقصاً أو نفادا
حبــذا الموئل فيما تتـقى من أذى الدهر وما أعلى المصادا
سببٌ للهِ من يعلــق بهِ لم يخف ضَيْماً ، ولم يخش اضطهادا

شهداء بدر
رضى الله عنهم

استشهد من المسلمين فى هذه الوقعة المباركة أربعة عشر مجاهدا ستة من المهاجرين . وثمانية من الأنصار . فالأولون هم : عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، مهجع مولى عمر بن الخطاب . عمير بن أبى وقاص . عاقل بن بكير الليثى. صفوان بن بيضاء الفهرى، ذو الشمالين عمير، وقيل الحارث، وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى ، وأما الأنصار فهم : عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء . وحارثة بن سراقة ، ويزيد ابن الحارث بن قيس بن مالك ، ورافع بن المعلى ، وعمير بن الحمام ابن الجموح ، سعد بن خيثمة ، مبشر بن عبد المنذر رضى الله عنهم أجمعين.

طُف بالمصارع واستمع نجواها والْثم بأفياء الجنان ثراها[2]
ضاع الشذى القدسىُّ فى جنباتها فانشقْ وصف للمؤمنين شذاها[3]

---

(١) الأعقب جمع عقاب . والنآد الداهية العظيمة .
(٢) الأفياء الظلال .
(٣) ضاع فاح وانتشر .

حِلَلٌ يروع جلالها ومنازلٌ — من نور رب العالمين سناها(١)
ضمت حُماة الحقّ ماعرف امرؤٌ — عِزّاً لهم من دونه أوجاها
الطالعين به على أعدائه — موتاً إذا نشروا الجنود طواها
الخائضين من الخطوب غمارها — المصطلين من الحروب لظاها
الباذلين لدى الفداء نفوسهم — يبغون عنـــد إلههم محياها
ما آثروا فى الأرض إلا دينه — دينا . ولا عبدوا سواه إلٓها
سلكوا السبيل مسددين تضيئه — آىُ المفصل يتبعون هداها(٢)
قومٌ هم اتخذوا الشهادة بغيةً — لا يبتغون لدى الجهاد سواها
هُمْ فى حمى الايمان أول صخرة — فسل الصخور : أما عرفن قواها ؟
حملت جبال الحقّ فى دنيا الهدى — بيضاً شواهق ما تنال ذراها
تؤتى الممالك والشعوب حياتها — وتقيم من أمجادها وعلاها
ذهبت تُرفرف فى مسابح عزها — ومضت يفوت مدى النسور مداها
تجرى الرياح الهوج طوع قضائها — وتخافها فتحيد عن مجراها(٣)
طاف الغمام مهللا بظلالها — فسقته من بركاتها وسقاها
شهداء بدرٍ أنتم المثل الذى — بلغ المدى بعد المدى فتناهى
علّمتم الناس الكفاح فأقبلوا — ملء الحوادث يدفعون أذاها
أما الفداء فقـــد قضيتم حقه — وجعلتموه شريعة ترضاها
من رام تفسير الحياة لقومه — فدم الشهيد يُبين عن معناها
لولا الدماء تراق لم نر أمةً — بلغت من المجد العريض مناها
أدنى الرجال من المهالك من إذا — عرضت منايا الخالدين أباها
وَأَجَلُّ من رفع الممالك مظهراً — بانٍ من المهجِ السماح بناها

---

(١) جمع حلة ـ محلة القوم ـ
(٢) المفصل القرآن الكريم .
(٣) الهوج الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها . جمع هوجاء .

كم أمةٍ لم تُوق عادية الردى ‌ ‌ ‌ لولا الذى اقتحم الردى فوقاها

تسمو الشعوب بكل حر ماجدٍ ‌ ‌ ‌ وجبت عليه حقوقها فقضاها

ما أكرم الأبطال يوم تفيّأوا ‌ ‌ ‌ ظلل المنايا يتفون جناها

راحوا من الدم فى مطارف أشرقت ‌ ‌ ‌ حمر الجراح بها فكن حِلاها(١)

لو أنهم نُشروا رأيت كلومهم ‌ ‌ ‌ تدمى . كأنك فى القتال تراها(٢)

ليسوا وإن وَردوا المنية للألى ‌ ‌ ‌ غمر البلى وُرّادَهم أشباها

هم عند ربك يُرزقون لحيِّهم ‌ ‌ ‌ وصف الحياة لأنفسٍ تهواها(٣)

الله باركها ببــــدر وَقعة ‌ ‌ ‌ كل الفتوح الغرّ من جدواها

منعت ذمار الحقّ حين أثارها ‌ ‌ ‌ وَحمت لواء الله حين دعاها

بخل الزمان ، فكنتُ من شعرائها ‌ ‌ ‌ لو شاء ربى كنت من قتلاها

كم دولة للشرك زلزل عرشها ‌ ‌ ‌ بدماء بدر واستبيح حماها

فى دولةٍ للمسلمين ، تشوقهم ‌ ‌ ‌ أيامها ، وتهــــزهم ذكراها

يا ويح للأمم الضعاف : أتنقضى ‌ ‌ ‌ دنيا الشعوب وما انقضت بلواها

أممٌ هوالك ، ما لمست جراحها ‌ ‌ ‌ إلا بكت وبكيت من جراها

لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها ‌ ‌ ‌ ماذا من القدر المتاح دهاها ؟

إن الذى خلق السهام مثلها ‌ ‌ ‌ جمع المصائب كلها فرماها

---

(١) جمع مطرف وهو الرداء المعلم .

(٢) جاء فى الأثر الشريف : أنا شهيد على هؤلاء (الشهداء) وما من جريح يجرح فى الله إلا بعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه . اللون لون الدم والريح ريح المسك . الكلوم الجروح .

(٣) يشير الى قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

ذكرى هذه الغزوة المباركة

نظمت هذه القصيدة للحفلة التى أقامتها جماعة إحياء مجد الإسلام بالقاهرة ، إجلالا لهذه الذكرى الإسلامية المجيدة فى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٤٨ هـ وقد رأى الناظم إثباتها هى والقصيدة التى تليها .

تعلموا كيف تبنى مجدها الأمم ... وكيف تمضى إلى غاياتها الهمم

تعلموا وخــذوا الأنباء صادقة ... عن كل ذى أدب بالصدق يتسم

أمن يقول . فما ينفك يكذبكم ... كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟

لكم على الدهر منّى شاعر ثقة ... تقضى الحقوق وترعى عنده الذمم

تعلموا يا بنى الإســلام سيرته ... وجددوا ما محا من رسمها القدم

الله أكبر هل هانت ذخائره ... فما لكم مقتنى منها ومغتنم ؟

بل أنتم القوم طاح المرجفون بهم ... وغالهم من ظنون السوء مازعموا

ماذا تريدون من ذكرى أوائلكم ... أكل ما عندكم أن تحشد الكلم

لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا ... من باذخ المجد يمسى وهو منهدم

إن تذكروا يوم بدر فهو يذكركم ... والحزن أيسر ما يلقاه والألم

سن السبيل لكم مجداً ومأثرة ... فلا يد نشطت منكم ولا قدم

غاز يصول بجند من وساوسه ... وقائد ماله سيف ولا عــلم

* * *

حيوا الغزاة قياما وانظروا تجدوا ... وفودهم حولكم يا قوم تزدحم

ثم انظروا تارة أخرى تروا لهبا ... فى كل ناحية للحرب يضطرم

حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم ... جبريل فى غمرات الهول يقتحم

الأرض ترجف رعبا والسماء بها ... غيظ يظلّ على الكفار يحتدم

هم حاربوا الله لا يخشون نقمته ... فى موطن تتلاقى عنده النقم

مَن جانب الحق أردته عمايته ... وأحزم الناس من بالحق يعتصم

الدين دين الهدى تبدو شرائعه ... بيضا تكشف عن أنوارها الظلم

ما فيه عند ذوى الألباب منقصة ... ولا به من سجايا السوء ما يصم

يحيى النفوس إذا ماتت ويرفعها ... إذا تردت بها الأخلاق والشيم

لا شىء أعظم خزيا أو أشد أذى ... من أن يطاع الهوى أو يعبد الصنم

دين تصان حقوق العالمين به ... ويستوى عنده السادات والخدم

ضل الألى تركوا دستوره سفها ... فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم

دعا النبى فلبّى من قواضبه ... بيض مطاعمها المأثورة الخذم

حرّى الوقائع، غرثى لا كفاء لها ... إن جد ملتهب، أو شد ملتهم

تجرى المنايا دراكا فى مسايلها ... كما جرى السيل فى تياره العرمُ

قواضب الله مانامت مضاربها ... عن الجهاد، ولا أزرى بها سأم

يرمى بها كل جبار ويقصمه ... إن ظن من سفه أن ليس ينقسم

الجيش منطلق الغارات مستبق ... والبأس محتدم والأمر مكتتم

الله ألف بين المؤمنين، فهم ... فى الحرب والسلم صف ليس ينقسم

كروا سراعا، فللأعمار مصطرع ... تحت العجاج، وللأقدار مصطدم

من كل أغلب يمضى الحتف معتزما ... إذا مضى فى سبيل الله يعتزم

حرّان يحسب إذ يرمى بمهجته ... نشوان يزداد سكراً أو به لمم

للحق نشوته فى نفس شاربه ... وليس يشربه إلا امرؤ فهم

وأظلم الناس من ظن الظنون به ... ما كل ذى نشوة فى الناس متهم

طال القتال، فما للقوم إذ دلفوا ... إلا البلاء وإلا الهول يرتكم

وقام بالسيف دون الليث صاحبه ... يذود عنه، وعزّ الليث والأجم

ماذا يظن أبو بكر بصاحبه؟ ... إن الرسول حمى للجيش أو حرم

أمن النفوس إذا اهتاجت مخاوفها ... والمستغاث إذا ما اشتدت الغمم
هل يعظم الخطب، يرميه أمرؤ درب ... أفضى الجلال إليه وانتهى العظم؟
راع الكتائب واستولت مهابته ... على القواضب تلقاه فتحتشم
دعا فما جت سماء الله وانطلقت ... كتائب النصر ملء الجو تنتظم
لا هم غوثك، إن الحق مطلبنا ... وأنت أعلم بالقوم الألى ظلموا
تلك العصابة مالله إن هلكت ... فى الأرض من عابد للحق يلتزم
جاء الغياث فدين الله منتصر ... عالى اللواء . ودين الشرك منهزم
جنى على زعماء السوء ما اجترحوا ... وحاق بالمعشر الباغين ما اجترموا
ما الجاهلية إلا نكبة جلل ... تُردى النفوس وخطب هائل عمم
هذى مصارعها تجرى الدماء بها ... وتشتكى الهون فى أرجائها الرمم
هذا أبو الحكم أنجابت عمايته ... لما قضى السيف وهو الخصم والحكم
ماذا لقيت أبا جهل وكيف ترى ... آيات ربك فى القوم الذين عموا؟
هذا القليب لكم فى جوفه عبر ... لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم(١)
ذوقوا العذاب أليما فى مضاجعكم ... ما فى المضاجع إلا النار والحمم
لا تجزعوا، واسمعوا ماذا يقال لكم ... فما بكم تحت أطباق الثرى صمم
الشرك يُعول والإسلام مبتسم ... سبحان ربى له الآلاء والنعم
يا قومنا إن فى التاريخ موعظة ... وإنه للسان صادق وفم
لنا من الدم يجرى فى صحائفه ... شيخ يحدثنا أن الحياة دم

---

(١) القليب البئر .

الذكرى الثانية

نظمت للحفلة التي أقامها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ١٣٦٠ هـ

على ذكرها فليعرف الحق جاهله ... ويؤمن بأن البغي شتى غوائله

هي الغزوة الكبرى هوى الشرك إذ رمت ... جحافلها العظمى وولت جحافله

وأصبح دين الله قد قام ركنه ... فأقصر من أعدائه من يطاوله

بنتـه سيوف الله بالعزم إنه ... لأصلب من صم الجلاميد سائله

تكلُّ قوى الجبار عما تقيمه ... عليه يد البـاني وتنبو معاوله

أهاب رسول الله بالجند أقدموا ... ولا ترهبوا الطاغوت فالله خاذله

أما تنظرون الأرض كيف أظلها ... من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟

خذوه ببأس لا تطيش سهامه ... فأنتم منـاياه وهـذى مقاتله

علينا الهدى ، إما بآيات ربنا ... وإما بحد السيف ، لا خاب حامله

إذا أنكر القوم البراهين أخضعت ... براهينه أعنـاقهم ودلائله

مضى البأس بدرى المشاهد ترتمى ... أعاصيره نارا ، وتغلى مراجله

وضج رسـول الله يدعو إلهه ... فيالك من جند طوى الجوّ جافله

تنزل يزجي النصر تنساب من عل ... شآبيبـه نورا ، وينهلّ وابله

أحيزوم أقدم إنه الجدُ لن يرى ... سواه عـدو كاذب البأس هازله

هـو الله يحمى دينـه ويعزه ... فمن ذا يناديه ؟ ومن ذا يصاوله ؟

تمزق جيش الكفر وانحل عقده ... فخـابت أمانيـه وأعيت وسائله

وما برسول الله إذ ناله الأذى ... سوى ما ارتضت أخلاقه وشمائله

نبيّ يحب الله حبّ مجاهد ... يرى دمه من حقـه ، فهو باذله

يعظمـه فى نفسه ويطيعـه ... وما يقض من أمر له فهو قابله

كذلك كان المسلمون الألى مضَوْا فيالك عصرا يبعث الحزن زائله

صدفنا عن المثلى فأصبح أمرنا إلى غيرنا نهذى به وهو شاغله

يجالد من يبغى الحياة عدوَّه فيا لعدو لم يجد من يجادله

بنا من عوادى الدهر كل مسلّط مكائده مبثوثة وحبائله

قضينا المدى ماتستقيم أمورنا وهل يستقيم الأمر عاليه سافله؟

عجبت لقومى عُطّل الدين بينهم وجنوا به ، والجهل شتى منازله

يحبونه حب الذى ضلّ رأيه فقاطعه منهم سواء وواصله

صلاة وصوم يركض الشر فيهما حثيثا تهز المشرقين صواهله

وكيف يقوم الدين مابين أمة إذا عُطّلت آدابه وفضائله

سلام علينا يوم يصدق بأسنا فيمضى بنا فى كل أمر نحاوله

ويوم تكون الأرض تحت لوائنا فليس عليها من لواء يماثله

أنمشى بطاء ، والخطوب تنو بنا سراعا، وعادى الشر ينقض عاجله؟

ألا همة بدرية تكشف الأذى وتشفى من الهم الذى اهتاج داخله؟

ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى وتصغى إلى القول الذى أنا قائله ؟

ألا دولة للحق تسلك نهجه وتمشى على آثاره ماتزايله ؟

إذا نحن لم نرشد ، ولم نتبع الهدى فلا تنكروا ياقوم ما الله فاعله

غزوة بنى قينقاع

كان خروج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى هذه الغزوة فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود . فأظهروا البغى والحسد بعد وقعة بدر .

قدمت امرأة من العرب بجلب لها لبيعه بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ منهم فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهى تأبى ، فعمد الصائغ إلى أطراف ثوبها فعقده إلى ظهرها — وقيل خله بشوكة وهى لا تشعر — فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وشد اليهود على المسلم فقتلوه .

جمعهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى مرسل . تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى إليكم .

قالوا يا محمد : أترانا مثل قومك ، لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب . إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغياً ، فلما قالوا ذلك أنزل الله ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون — الآية ﴾ وقوله تعالى ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم — الآية ﴾ .

ردُّوا بنى قينقاع الأمر إذ نزلا	هيهات هيهات أمسى خطبكم جللا[1]
نقضتم العهد معقودا على دخل	لعاقد ما نوى غشاً ولا دخلا[2]
ما زال شيطانكم بالغيظ يقدحه	بين الجوانح حتى شب واشتعلا
هاجت وقائع بدر من حفيظتكم	ونبهت منكم الداء الذى غفلا[3]
أتنكرون على الإسلام بهجته	والله أطلعه من نوره مثلا ؟
دين الهدى يا بنى التوراة يشرعه	للناس من شرع الأديان والمللا

---

(١) جللا عظيما .
(٢) الدخل : المكر والخديعة .
(٣) الحفيظة : الغضب .

لا تدعوا أنكم منها بمعتصم واق . ولا تطمعوا أن تتركوا هملا
جاء النبيين بالفرقان وارثهم سبحان من نقل الميراث فانتقلا
رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله يهدى الشعوب ويشفى منهم العللا
هلا سألتم أخاكم حين يبعثها هو جاء يعصف فيها الشر مافعلا ؟
إن التى رامها فى عزها سفهاً لتؤثر الموت مما سامها بدلا
لا يبلغ العرضَ منها حين تمنعه من خيفة العار حتى تبلغ الأجلا
وقد يكون لها من ربها رصد إذا رماه بعينى غاضب جفلا[1]
ما زال بالدم حتى ظل سافحه يجرى على دمه مسترسلا عجلا
ما غركم بقضاء الله يرسله على يدى بطل ـ أعظم به بطلا ؟
لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم من طائف الجهل داع يورث الخبلا
قلتم . رويداً فإنا لا يصاب لنا كفؤ إذا ما التقى الجمعان فاقتتلا
لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم على يديك ، وإذ يعطونك النفلا[2]
يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم ترجو الأمان وتُبدى الخوف والوجلا
كم موئل شامخ العرنين يعجبكم يود يومئـــذ لو أنه وألا[3]
أمسى عبادة منكم نافضاً يده فانبتّ من عهده ما كان متصلا[4]
نعم الحليف غدرتم فانطوى حنقا يرجو الآله ، ويأبى الزيغ والزللا[5]

(١) جفل : أسرع منزعجا .

(٢) النفل الغنيمة .

(٣) طلب النجاة أو اتخذ له موئلا ، شامخ العرنين كناية عن العزة والمعنى كم من عزيز يلجأ إليه يطلب النجاة فى هذا اليوم .

(٤) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبى بن سلول . فتبرأ عبادة منهم وقال يارسول الله ـ أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ـ وبقى عبد الله ابن أبى على حلفه لهم ، وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . إلى قوله تعالى ـ فإن حزب الله هم الغالبون) وانبت ـ انقطع .

(٥) الحنق الغيظ ـ الزيغ الضلال .

ما كان كابن أبى فى جهالته ... إذ راح شيطانه يرخى له الطولا(١)
مضى على الخلف يرعى معشرا غدراً ... أهون بكم معشراً لو أنه عقلا
لا تذكروا الدم، إن السيف منصلت ... فى كف أبيض يدمى البيض والأسلا(٢)
وجانبوا الحرب ، إن الله خاذلكم ... ولن تروا ناصراً يُرجى لمن خذلا
مشى الرسول وجند الله يتبعه ... من كل مقدامة يغشى الوغى جذلا(٣)
يهفو إلى الموت مشتاقاً ، ويطلبه ... بين الخميسين . لا نكساً ولا وكلا(٤)
لو غيبته المواضى فى سرائرها ... ألقى بمهجته يرتاد مدّخلا
يخال فى غمرات الروع من مرح ... لولا الرحيق المصفى شارباً ثملا(٥)
أهاب حمزة بالأبطال فانطلقوا ... وانساب منطلقاً يهديهم السبلا(٦)
عجبت لقوم ، طاروا عن مواقعهم ... ما ذاق هاربهم سيفاً ولا رجلا
مضوا سراعا إلى الآطام واجفة ... يخال أمنعها من ضعفه طللا(٧)
طال الحصار، وظل الحتف يرقبهم ... حران يشجيه ألا ينقع الغللا
أفنوا من الزاد والماعون ما ادخروا ... واحتال أشياخهم فاستنفدوا الحيلا(٨)
من كل ذى سغب لو قال واحده ... كلنى ليعلم ما فى نفسه أكلا(٩)

---

(١) الطول الحبل الطويل .

(٢) المنصلت السيف الصقيل الماضى والأبيض الرسول الكريم . والبيض السيوف والأسل الرماح .

(٣) المقدامة الشجاع والجذل الفرح والوغى الحرب .

(٤) الخميس الجيش يؤلف من خمس فرق . المقدمة . والقلب . والميمنة . والميسرة ، والساقة . والنكس من لاخير فيه من الرجال . والوكل العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٥) الغمرات الشدائد ، والروع الفزع والمراد به الحرب والثمل السكران والمراد أنه يستقبل أهوال الحرب بسرور وفرح حتى لتحسبه ثملا .

(٦) لجاوا إلى حصونهم فسار النبى صلى الله عليه وسلم إليهم . وكان لواؤه بيد عمه حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه .

(٧) الآطام الحصون .

(٨) الماعون كل ما ينتفع به من منافع البيت .

(٩) السغب الجوع .

لا يملكون لأهليهم وأنفسهم ... إلا العذاب . وإلا الظن والأملا

ظلت وساوسهم حيرى تجول بهم ... فى مجهل يتردى فيه من جهلا

حتى إذا بلغ المكروه غايته ... وهال كل غوىّ الرأى ما حملا

تضرعوا يسألون العفو مقتدرا ... يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا

أعطى النفوس حياة من سماحته ... فكان أكرم من أعطى ومن بذلا[١]

لو شاء طاح بهم قتلا فما ملكوا ... من بعد مهلكهم قولا ولا عملا

ما الظن يا بن أبىّ حين يسأله ... من الأناة وفضل الحلم ما سألا ؟[٢]

أما رأوه جريحاً لو يصادفه ... حِمامه لم يجد من دونه حولا ؟[٣]

زالوا عن الدور والأموال وانكشفوا ... عن السلاح . وراحوا خضعاً ذللا

هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم ... ساءوا مقاماً ، وساءوا بعد مرتحلا

ساروا إلى أذرعات[٤] ينزلون بها ... نكداً مشائيم ، لا طابت لهم نزلا

بادوا بها ، وتساقوا فى مصارعهم ... سوء العذاب ومكروه الأذى نهلا[٥]

يلوم بعض على ما كان من سفه ... بعضاً ، فمن يقترب يسمع لهم جدلا

أهل المعاقل ، هدتهم مدمرة ... تمضى ، فلا معقلا تُبقى ولا جبلا

رمى بها من رسول الله متئد ... لا يأخذ الناس حتى ينبذوا الرسلا

هل دولة الحق إلا قوة غلبت ؟ ... فافتح بها الأرض أو فامسح بها الدولا

---

(١) سألوا النبي بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ولم يبق لديهم ما يأكلون أن يخلى سبيلهم على أن يجلوا بنسائهم وذراريهم وأن يكون له المال والسلاح .

(٢) قيل إن النبى أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون فكلمه عبد الله بن أبى فيهم وألح عليه . وأنه أدخل يده فى جيب درعه الشريفة يسأله أن يعفو عنهم . وأنه صلى الله عليه وسلم قال له خذهم لا بارك الله لك فيهم ، وأمر بإجلائهم فتولى عبادة بن الصامت الأمر .

(٣) قيل إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم قبل خروجهم من الحصون يسأله فى إقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضباً الحول اسم من التحول والانتقال .

(٤) اذرعات بلد بالشام .

(٥) لم يحل الحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأمين خذهم لا بارك الله لك فيهم .

غزوة السويق

كانت فى اليوم الخامس من ذى الحجة فى العام الثانى من الهجرة .
نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى يغزو النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه خرج فى مائتى راكب من مشركى قريش ليبر بيمينه فنزل على مسافة بريد من المدينة وأتى بنى النضير ليلا يريد دار حيي ابن أخطب أحد رؤسائهم فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له . فجاء إلى سلام ابن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له ، واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالا منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار — قيل إنه معبد بن عمرو . وحليفاً لهم — الأنصار — فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فخرج النبى يطلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار فجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب بإلقاء جرب — جمع جراب — السويق فيأخذه المسلمون ، وذهبوا فلم يدركوهم — السويق القمح أو الشعير يقلى ثم يطحن .

تأنَّ ابنَ حرب لست فى مثلها جلدا ... قصاراك أن ترتدّ حرّان أو تردى[1]
هى الغارة الحرى ، فإن شئت فانطلق ... وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعاً بردا
جلا السيف فى بدر لعينك ما جلا ... وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى[2]
حلفت لئن لم تأت طيبة غازيا ... لتجتنبنَّ الطيب والخرَّد الملدا[3]
أتغزو رسول الله أن هدَّ بأسه ... من الكفر سدا ما رأى مثله سدا ؟
كذلك وعد الله ، لو كنت مؤمنا ... لأيقنت أن الله لا يخلف الوعدا
جرى طيركم نحساً ببدر ، ولن تروا ... لكم ما عبدتم غيره طائراً سعدا
أمضَّك وجد متلف من محمد ... ولست أبا سفيان إن لم تزد وجدا[4]

---

(١) القصارى : الجهد والغاية . الحران العطشان والمقصود المغيظ وتردى تهلك .
(٢) النصر المؤزر البالغ الشديد .
(٣) الخرد الأبكار والخفرات من النساء والملد الناعمات .
(٤) مضه الأمر وأمضه أحزنه حزنا بالغا .

رويداً هداك الله ، إنك لن ترى ... له فى الوغى إن هجته للوغى نِدّا

أراك غررت القوم إذ رحت مُوجفاً ... تخادعهم عن حلفة لم تـكن جدا[١]

ذهبت تقود الجند يا لك قائداً ... ويالَلالى سيقوا إلى يثربٍ جندا

تحاول نصراً من حيَيّ بن أخطب ... وصاحبه هيهات زدت المدى بعدا

رُددت عن الباب الذى جئت طارقاً ... فيالك سهماً ما ملـكت له ردا

وما نلت خيراً إذ أتيت ابن مشكم ... وكنت امرأ أعمى الهوى لا يرى رشدا

بعثت على النخل الرجال ، فلم تدع ... لنفسك عزاً تبتغيه ولا مجدا

شببت بهم ناراً ترامى لهيبها ... بعينك يبكى الضال أو يضحك الرندا[٢]

فوارس راحوا خفية فى سيوفهم ... فما وجدوا سيفاً ، ولا صادفوا غمدا

يصيبونها شتى الجنى ، وكأنما ... يصيبون من أعدائهم معشراً لدا[٣]

تولّوا سراعاً بعد مقتل معبد ... وصاحبه والخيل تتبعهم جردا[٤]

عليها من الغر الميامين فتيـــة ... تبادر ورد الموت تلتمس الخلدا

دعاها الرسول المجتبى فكأنما ... دعا عاصفاً صعباً يهدُّ القوى هدّا

مضى ومضوا إثر السراحين ترتمى ... إلى شيخها مذعورة تتقى الأسدا[٥]

فلما رأى الجدَّ استطار ولم يجـد ... من الأرض يهوى فى مساربها بُدّا

يصيح بجند السوء ألقوا بزادكم ... وفروا خفافاً ، لا يكن أمركم إدا[٦]

وطاروا شعاعاً . للسويق وراءهم ... ركامٌ إلى أعداء أربابهم يُهدى[٧]

---

(١) أوجف الرجل الفرس ونحوه جعله يجف أى يعدو ويسرع .

(٢) الضال والرند نوعان من الشجر البرى . والأول السدر .

(٣) من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٤) من الجرد وهو قصر الشعر . صفة محمودة فى الخيل .

(٥) يريد بالسراحين المشركين وشيخهم أبو سفيان .

(٦) الإد الداهية والأمر المنكر الفظيم .

(٧) شعاعا متفرقين ، الركام الشىء المتراكم بعضه فوق بعض .

همُ رفدوهم كارهين ، ولو وفوا ... بأيمانهم كانوا لأسيافهم رفدا[1]

إليك ابن حرب إن للحرب جذوة ... إذا هيجت ذا نجدة زادها وقدا[2]

هى النصر أو عاد من الموت واقعٌ ... بكل كميّ ، لا مفرّ ، ولا معدى[3]

فررت تخاف الفقد فى حومة الوغى ... بأيدى الألى يستعذبون بها الفقدا

أفى الحق أن لا تعبد الله وحده ... وتسجد للعزّى تكون لها عبدا ؟

سبيلان شتى . أنت لابد عالمٌ ... إذا ما استبنت الرشد ، أيهما أهدى

رجعت مغيظاً . لم تنل وتر هالك ... ولم تشف غيظاً من ذويك ولا حقدا

تصدُّ قريشٌ عنك مما كذبتها ... ومنّيتها ، يا طول همك لو أجدى

قلى الحق ، ما للعالمين سكينة ... على الأرض حتى يعبدوا الواحد الفردا

غَزْوة أُحُد

كانت فى شوال من السنة الثالثة ـ وأحد جبل من جبال المدينة .

لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة ابن أبى جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبى سفيان وإلى من من كان له تجارة فى العير التى كانت سببا للوقعة ـ وكانت لا تزال موقوفه فى دار الندوة ـ يحرضون على الحرب وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش: فقال أبو سفيان: أنا أول من يفعل وبنو عبد مناف معى ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل خمسة وعشرين ألفا . ونزلت ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾

أدأبك أن تريد المستحيلا ؟ ... تأمل أيها المولى قليلا

(١) رفده أعطاه وأعانه ، الرفد العطاء .

(٢) الجذوة القطعة من الجمر لاتنطفىء حتى تصير رماداً .

(٣) مصدر ميمى من عدا الأمر إذا جاوزه وانصرف عنه .

لبثت تعالج الداء الدخيلا ... وتضمر فى جوانحك الغليلا[1]

وما يجديك لاعجه فتيلا

أما تنفكُّ تذكر يوم بدر ؟ ... وما عاينت من قتل وأسر ؟

وراءك ، إنها الأقدار تجرى ... بنصر للنبىّ وراء نصر

وكان الله بالحسنى كفيلا

أبا سفيان دع صفوان يبكى ... وعكرمة يطيل من التشكى

وقل للقوم فى بر ونسك ... نهيت النفس عن كفر وشرك

وآثرت المحجة والسبيلا[2]

أراك أطعتهم وأبيت إلا ... سبيل السوء تسلكه مدلا[3]

تريد محمداً وأراه بسلا ... رويدك يا أبا سفيان : هلا[4]

أردت لقومك الحسن الجميلا ؟

قريش لم تزل صرعى هواها ... وعير الشؤم لم تحلل عراها

أجل عينيك ، وانظر ما عساها ... تسوق من الجنود إلى وغاها ؟

فقد حملت لكم أسفاً طويلا

دعا صفوان شاعره فلبّى ... وكان يسومه شططاً فيأبى

أحل له الهجاء . وكان خبّا ... أحب من الخيانة ما أحبا[5]

يريد العيش محتقراً ذليلا

(١) الغليل : الغيظ والحقد .

(٢) المحجة : جادة الطريق والمراد الدين الحق .

(٣) المدل الواثق بنفسه وبما لديه .

(٤) البسل : الحرام والمراد الممتنع .

(٥) قال صفوان لأبى عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتى ، قال إنى عاهدت محمدا حين أطلقنى فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحدا ، فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة فخرج هو ومسافع يستنفران الناس ، والشطط مجاوزة القدر فى كل شىء ، والخب : الخداع .

يذمُّ محمداً ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا
تغمَّد حقـــه وجزاه شرا وأمسى عهـده كذباً وغـدرا
وإن له لمنقلباً وبيلا[1]

ألم يمنن عليـه إذ الأسارى تـكاد نفوسها تهوى حذارا ؟
تطوف به مولهـة حيارى تود لوانهـا ملكت فرارا
وهل يُعطَى عدو الله سولا ؟

جبير أكان عمك حين أودى كعم محمد شرفاً ومجدا ؟
أحمزة أم طعيمة كان أهدى ؟ رويدك ياجبير أتيت إدّا[2]
وإن قضاء ربك لن يحولا

أراد فما لوحشيٍّ محيــد ولا لك مصرف عمـا يريد
أليس لحمزة البــأس الشديد فما يُغنى فتاك وما يفيـــد ؟
تبارك ربنا رباً جليلا

تولوا بالكتائب والسرايا وساروا بالحرائر والبغـــايا
منـــايا قومهم جابت منـايا فسيرى فى سبيلك يا مطـايا
ولا تدعى الرسيم ولا الذميلا[3]

---

(١) يأل يقصر فى الشكر ، تغمد حقه أنـكره . وأصل المعنى ستر الشىء وإخفاؤه ، والوبيل الشديد السيء ظفر النبي صلى الله عليه وسلم به في وقعة حمراء الأسد فأمر عاصم بن ثابت بقتله . وحمل رأسه إلى المدينة .

(٢) جبير بن مطعم بن عدى دعا غلامه وحشياً . وقال له اخرج بحربتك مع الناس فإنك إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (قتله حمزة رضى الله عنه فى وقعة بدر) فأنت عتيق ، وإدا فظيعا .

(٣) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل . وخرجت النساء مع المشركين بالدفوف . ويقول ابن الجوزى ـ وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخور والبغايا . والكتائب والسرايا الجيوش والرسيم والذميل نوعان من سير الأبل والأول أسرع .

وياخيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضـا فأرضـا
لعـل النـاقم الموتور يرضى نشدتك فانفضى البيداء نفضا
ووالى فى جوانبها الصهيـلا

ويا هند اندبى القتلى ونوحى وزيدى مابقـومك من جروح
وراءك كل منصلت طمـوح تُهيِّجُ بأسـه ريح الفتـوح
وراءك فتية تأبى النـكولا[1]

وراءك نسـوة للحرب تُزجَى ترجُّ دفوفهـا الأبطـال رجًّا
وتلك خمـور عسكرك المرجَّى وكان الغى بالجهـلاء أحجى[2]
كذلك يطمس الجهل العقولا

رأيتِ الرأى شؤماً أىَّ شؤم وما تدرى يمينـكِ أين ترمى
لعمرك إنه لرسيس همٍّ تغلغل منك بين دمٍ ولحم[3]
فيا ابنة عتبَة اجتنبى الفضولا

أعن جسد الرضية بنت وهب يُشَقُّ القبر ياامرة بن حرب
ويُقطَعُ بالُمدى فى غير ذنب ليُفدَى كل مأسور بإرب
فيا عجباً لقول منك قيلا[4]

هى الهيجاء ليس لهـا مردٌّ فمن يك هازلا ، فالأمر جدٌّ

---

(١) هند زوج أبى سفيان . كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يبكين قتلى بدر ويحرضن على القتال وترك القرار والمنصلت هنا الماضى فى الأمور والنكول النكوص والجبن .

(٢) أحجى أخلق .

(٣) رسيس الهم وغيره ما يثبت منه .

(٤) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنبش قبر أم النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ جثمانها . قالت . فإن أسر منكم أحد فديتم كل أسير بإرب من آرابها ـ الإرب الجزء ـ فأبوا خيفة أن ينبش بنو بكر قبور موتاهم .

لبأس الله يا هنـــدُ أشدُّ   له جنـــد وللكفار جند

وإن لجنده البطش المهولا

سيوف محمد أمضى السيوف   وأجلب للمعاطب والحتوف[1]

إذا هوت الصفوف على الصفوف   وأعرض كلُّ جبار مخوف

مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى السعدين قد دلفا وهـذا   عليٌّ بالحســام العضب لاذا

وحمزة جَـدَّ معتزماً فمـاذا ؟   ومن للقوم ان أمسوا جذاذا ؟

وطار حماتهم فمضوا فلولا[2]

وفى الأبطال فتيانٌ رقاق   بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق

لهم فى الناهضين لها انطلاق   دعا داعى الجهاد فما أطاقوا

بدار السلم مثوى أو مقيلا[3]

أعادهم النبى إلى العرين   شبولا سوف تصلب بعـد لين

يضنُّ بها إلى أجل وحين   رعاك الله من سمح ضنين

يسوس الأمر يكره أن يعولا[4]

وقيل لرافع نعم الغــلام   إذا انطلقت لغايتها السهام

(١) الحتوف جمع حتف وهو الموت .

(٢) سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ودلفا تقدما والحسام العضب السيف القاطع ـ ولاذ لجأ ، وجذاذا قطعا وفلولا منهزمين .

(٣) عرض النبى جيشه بعد أن عسكر بالشيخين ـ أطمان أو جبلان ـ فوجد فيه جمعاً من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة . وقيل الرابعة عشرة من العمر ، فردهم وأجاز رافع بن خديج من دونهم لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد وأنا أصرعه فبلغت مقالته النبى فقال تصارعا فصرع سمرة صاحبه فأجازه والمثوى المقام .

(٤) عال فى الحكم جار ومال عن الحق . وعاله الأمر شق عليه وثقل .

تقـــدم أيها الرامى الهمام   إذا الهيجاء شب لها ضرام

فأمطرها سهامك والنصولا[1]

ونادى سمرة أيردُّ مثلى   ويقبل صاحبى وأنا المجلِّى[2]

أصارعه . فإن أغلب فسُلى   وكيف أذاد عن حق وعدل ؟

وأمنع أن أصول وأن أجولا ؟

وصارعه فكان أشــد أسرا   وأكثر فى المجال الضنك صبرا[3]

وقيل له : صدقت فأنت أحرى   بأن تردَ الوغى فتنال نصرا

ألا أقبل فقـــد نلت القبولا

أعبـــد الله مالك من خلاق   فعد بالناكثين ذوى النفاق

كفاك من المخافة ما تلاقى   ومالك من قضـــاء الله واق

وإن أمسيت للشعرى نزيلا[4]

أبيت على ابن عمرو ما أرادا   وشر القوم من يأبى الرشادا[5]

نهاك . فلم تزد إلا عنادا   ألم يسمع فريقك حين نادى

أطيعوا الله واتبعوا الرسولا ؟

يقول : نشدتكم لا تخذلوه   وموثق قومكم لا تنقضوه

(١) نصل السهم حديدته . والنصول جمع .

(٢) المجلى الأول من خيل السباق وأذاد أدفع .

(٣) الأسر الخلق بخاء مفتوحة وشدة الأسر من صفات القوة . والضنك الضيق .

(٤) عبد الله بن أبى بن سلول ـ رجع ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة رجل وهو يقول ـ عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيعلم ـ لا ندرى على م نقتل أنفسنا ؟ ؟ ارجعوا أيها الناس . والخلاق النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الإنسان هذا النصيب من أفعاله الممدوحة . والناكثين الغادرين ، والشعرى نجم .

(٥) عبد الله بن عمرو بن حرام والدجابر رضى الله عنهما ، انطلق فى أثر المنافقين يريد ردهم ويقول لهم ، يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم فلم يطيعوه فقال : أبعدكم الله ، سيغنى الله تعالى عنكم نبيه .

رسول الله إلاّ تنصروه فإن الحق ينصره ذووه
ألا بعداً لمن يبغى الغلولا[١]

تجلّى نور ربك ذى الجلال وهز الشّعب صوت من بلال
بلال الخير أذّنَ فى الرجال فهبوا للصلاة من الرحال
وقاموا خلف سيدهم مثولا[٢]

علا صوت الأذين ، فأىُّ معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسنى ؟[٣]
إلهُ الناس فرد لا يثنَّى تأمل خلقه إنساً وجنا
فلن تجد الشريك ولا المثيلا

أجل ـ الله أكبر لا مِراءَ فهل سمع الألى كفروا النداء ؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضاً تطيق ولا سماء
جلالُ الحق أورثهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون : حىَّ على الفلاح
تلقّى صيحة الحق الصراح فقام يصيح من كل النواحى
يسبّح ربه غب ارتياح ويحمده بألسنة فِصاح[٤]
تعطفت الجبال على البطاح وكبّرت المدائن والضواحى
وأوّبت البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجناح[٥]

---

(١) الغلول الخيانة .

(٢) مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين وحانت صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال رضى الله عنه للصلاة وصلى النبي بأصحابه ـ الرحال جمع رحل وهو هنا بمعنى المثوى أو المنزل أو ما يكون مع الرجل من الأثاث . ومثول جمع ماثل أى قائم .

(٣) الأذين المؤذن .

(٤) غب بمعنى بعد .

(٥) التأويب هنا ترجيع الصوت (و يا جبال أوبى معه) .

كتاب الحق . ما للحق ماح يُرتّل فى الغدوِّ وفى الرواح
فقل للناس من نَمِلٍ وصاح شريعة ربكم ، ما من براح
فمن منكم يريد بها بديلا ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام
أقمها يا محمد فهى لام تساقط حولها الجُنَن العظام[١]
بها يتخطف الجيش اللهام وليس كمثلها جيش يرام[٢]
قضاها الله ، فهى له ذمام وذاك نظامها ، نعم النظام
يوطّد من بنَى ، وهى الدعام ويصعد بالذرى ، وهى السنام
نهضت لها ، وما هبّ النيام وبادرها الميامين الكرام
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام
يصون لواءه جيلا فجيلا

هُدَى الأجيال يخطب فى الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة[٣]
وبالأخلاق غُرًّا طيبات مُلقّى الوحى والإلهام هات
وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات
وخذهم بالنصائح والعظات مضيئات المعالم مشرقات
شعوب الأرض من ماض وآت عيالُك ، فاهدهم سُبل النجاة

---

(١) اللام جمع لامة وهى الدرع والجنن جمع جنة وهى هنا ما يتق به من السلاح .

(٢) الجيش اللهام العظيم .

(٣) خطب صلى الله عليه وسلم أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة . ومن قوله فى هذه الخطبة ـ ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به . ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه . لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها . فاتقوا الله ربكم وأجملوا فى طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله . والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

إذا ضلّت دهاقين الثقات   وأمسى الناس أسرى التُّرّهات[١]
وخف ذوو الحلوم الراسيات   فأصبحت الممالك راجفات
أقمت الأرض تكره أن تميلا

ألا برز الزبير فأى وصف   حوارىُّ الرسول يفى ويكفى ؟
برزت لخالد حتفاً لحتف   تصد قواه عن كرٍّ وزحف
وتدفعه إذا ابتعث الرعيلا[٢]

ألم تره وعكرمة استعدا ؟   فأمّا جدّت الهيجاء جدا
بنى لهما رسول الله سدا   ومثلك يُعجز الأبطال هدّا
ويترك كل ممتنع مهيلا[٣]

لمن يرث الممالك لا سواه   أعد القائد الأعلى قواه
وبثّ الجيش أحسن ما تراه   تعالى الله ليس لنا إله
سواه فوالِهِ ودَع الجهولا

رماةَ النبل ما أمر النبىّ   فذلك ، لا يكن منكم عصىٌّ[٤]
إذا ما زالت الشم الجثىُّ   وكان لها انطلاق أو مضىٌّ[٥]
فكونوا فى أماكنكم حلولا

---

(١) الدهاقين الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال والترهات الخرافات .

(٢) اقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى طليعة خيل المشركين . فأمر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بإزائه . وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا فى جانب آخر وقال لا تبرحوا حتى أوذنكم ولا يقاتلن أحد منكم حتى آمره بالقتال ولرعيل القطعة من الخيل .

(٣) المهيل من الرمل ونحوه ما انهال .

(٤) كان الرماة خمسين رجلا أمر النبى عليهم عبد الله بن جبير وقال ـ انضح الخيل عنا بالنبل . لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا ـ وفى رواية إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، إرشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم . اللهم إنى أشهدك عليهم ،

(٥) الجبال الرواسى كأنها فى صورة من يجثو أى يجلس على ركبتيه أو يقوم على أطراف أصابعه .

رماة النبل ردُّوا الخيل عنّا   وإن نهلت سيوف القوم منّا
فلا تتزحزحوا ، فإذا أذنّا   فذلك ، إن للهيجاء فنّا
تاقنه الجهابذة الفحولا[١]

تاقّ أبا دجانة باليمين   حسامك من يد الهادى الأمين[٢]
وخذه بحقه فى غير لين   لتنصر فى الكريهة خير دين
يرفُّ على الدنى ظلا ظليلا

نصيبك نلته من فضل ربّ   قضاه لصادق النجدات ضرب[٣]
تخطى القوم من آل وصحب   فكان عليك عضباً فوق عضب
تبختر وامض مسنوناً صقيلا[٤]

أبا سفيان لا يقتلك هما   ولا يذهب بحلمك أن تذما[٥]
أحين بعثتها شراً وشؤما   أردت هوادة ، وطلبت سلما ؟
مكانك لا تكن مَذِلاً ملولا[٦]

---

(١) الجهابذة جمع جهبذ وهو الناقد البصير .

(٢) أخرج صلى الله عليه وسلم سيفاً مكتوباً فى إحدى صفحتيه .

فى الجبن عار وفى الإقبال مكرمة   والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم . وكان من جملتهم على بن أبى طالب قام ليأخذه فقال اجلس . وعمر فأعرض عنه ، والزبير (وطلبه ثلاث مرات) فكذلك ، وقام أبو دجانة فقال ، وما حقه يارسول الله . قال تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى ، قال أنا آخذه بحقه فدفعه إليه .

(٣) الضرب من الرجال الماضى فى الأمور .

(٤) كان أبو دجانة يختال عند الحرب ، وقال النبى وقد رآه بين الصفين : إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن .

(٥) نادى عند إصطفاف القوم ـ يامعشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف . عنكم فشموه أشد الشتم .

(٦) المذل القلق الضجور .

من الداعى يصيح على البعير   أمالى فى الفوارس من نظير[1]
أرونى همة البطل المغير   إلىَّ ـ فما بمثلى من نكير[2]
أنا الأسد الذى يحمى الشبولا

تحداه الزبير وفى يديه   قضاء خف عاجله إليه
رمى ظهر البعير بمنكبيه   وجرّعه منيته عليه
فأسلم نفسه وهوى قتيلا

ألا بعدا لطلحة حين يهذى   فيأخذه علىٌّ شر أخذ[3]
أصيب بقسورىّ البأس فذٍّ   يُعدُّ لكل طاغى النفس مؤذ[4]
يعالج داءه حتى يزولا

أمن فقد إلى فقد جديد ؟   لقد أضحى اللواء بلا عميد
بصارم حمزةَ البطل النجيد   هوى عثمانُ إثر أخ فقيد
وأم الكفر ما برحت ثكولا[5]

---

(١) خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق ظهره فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه . فأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ـ لكل نبى حوارى . وإن حوارى الزبير . وقال لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

(٢) نكر الرجل الآخر نكيراً جهله ولم يعرفه .

(٣) طلحة بن أبى طلحة ـ من بنى عبد الدار ـ حامل لواء المشركين ـ طلب المبارزة وجعل يهذى بكلام منه ـ يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار ـ وفى رواية ـ أنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة . فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه إلى النار ، أو أعجله بسيفى إلى الجنة ، كذبتم واللات والعزى ـ خرج إليه على بن أبى طالب فقتله .

(٤) القسورى نسبة إلى القسور وهو الأسد .

(٥) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره ، والصارم السيف القاطع ، والثكول من الثكل وهو الفقد والهلاك .

أبى شر الثلاثة أن يريما   نخرَّ على يدَىْ سعد صريعا[1]
ثلاثة إخوة هلكوا جميعا   وراح مسافع لهم تبيعا[2]
رمت يد عاصم سماً نقيعا   توّرد جوفه فجرى نجيعا[3]
وجاء أخوه يلتمس القريعا   فأورَد نفسه ورداً فظيعا[4]
وإن لربك الفضل الجزيلا

رميتهما فظلا يزحفان   بجران الجراح وينزفان[5]
وخلفهما من الدم آيتان   هما للكفر عنوان الهوان
ترى الرأسين مما يحملان   على الحجر المذمم يوضعان
أمن ثديى سلافة يرضعان ؟   تقول وقلبها حرّان عان
علىّ الجود بالمئة الهجان   لمن يأتى بهامة من رمانى[6]
فوا ظمأى إلى بنت الدنان   تدار بها علىَّ فودّعانى
وموتا ، إن للقتلى ذحولا[7]

دعاةَ اللات والعزّى أنيبوا   فليس لصائح منكم مجيب
وليس لكم من الحسنى نصيب   لربَّ الناس داع لا يخيب

---

(١) لما قتل عثمان بن أبى طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فأصاب حنجرته فقتله ، يريم بمعنى يرجع . صريعا قتيلا .

(٢) مسافع بن طلحة بن أبى طلحة الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ أخذ اللواء بعد أبى سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتله .

(٣) توردّه بمعنى ورده ، النجيع ما كان إلى السواد من الدم . أو هو دم الجوف .

(٤) اخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم رضى الله عنه فقتله القريع هنا المقارع .

(٥) كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتى أمه سلافة ، ويضع رأسه فى حجرها فتقول له يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول خذها وأنا ابن أبى الأفلح فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن يجىء به مائة من الأبل .

(٦) الهجان الخالصة .

(٧) بنت الدنان هى الخمر والذحول جمع ذحل ، وهو الثأر .

ودين الحق يعرفه اللبيب   وما يخفى الصواب ولا يغيب
رويدا إن موعدكم قريب   وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟
سليبُ النفس يتبعه سليب   أما يفنى الطعين ولا الضريب
لواء ليس يحمله عسيب   عليه من منايا كم رقيب[1]
كفاكم ـ ياله حملا ثقيلا[2]

رمى بالنبل كل فتى عليم   فردَّ الخيل دامية الشكيم[3]
بنضح مثل شؤبوب الحميم   يصب على فراعنة الجحيم[4]
وصاحت هند فى الجمع الأثيم   تحرّض كل شيطان رجيم[5]
ألا بطل يذبُّ عن الحريم   ويضرب بالمهند فى الصميم ؟
فهاجت كلَّ ذات حشى كليم   تبثُّ الشجو فى الهذر الذميم[6]
وتذكر طارقا دأب المليم   يسىء ويدعى لأب كريم[7]

---

(١) عسيب اسم جبل .
(٢) تتابع القتل فى حملة اللواء فتمزق المشركون .
(٣) حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهى تنضح بالنبل فترجع مفلولة ، وحمل المسلمون عليهم فحمى القتال ـ والشكيم جمع شكيمة وهى حديدة اللجام فى فم الفرس .
(٤) شؤبوب الحميم الماء الحار .
(٥) قامت هند زوج أبى سفيان فى النسوة اللاتى معها لما حميت الحرب فأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويقلن .

ويها بنى عبد الدار   ويهاً حماة الأدبار   ضرباً بكل بتار

ثم ينشدن :

نحن بنات طارق   نمشى على النمارق   مشى القطا النوازق
والمسك فى المفارق   والدر فى المخانق   أن تقبلوا نعانق
ونفرش النمـــارق   أو تدبروا نفارق   فراق غير واق

وكان النبي إذا سمع ذلك يقول : اللهم بك أحول . وبك أصول . وفيك أقاتل . حسبى الله ونعم الوكيل .
(٦) حشى كليم جريح والشجو الحزن والألم .
(٧) ادعى إليه انتسب .

وأين مكانهن من النعيم   ومن جرثومة الحسب القديم ؟[1]
زعمن الشرك كالدين القويم   لهنَّ الويل من خطب عميم
رمى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصَّب يختليها   رقاباً ما يمل الضرب فيها ؟[2]
بأبيض تتقيه ويعتريها   وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من حده وال يليها   وينتزع الحكومة من ذويها
برزت أبا دجانة إذ تريها   وحِيَّ الموت تطعمه كريها[3]
صددت عن السفيهة تزدريها   وتكرم سيفك العف النزيها[4]
تولول للمنيـــة تتقيها   فإيها يا ابنة الهيجاء إيها
نجوت ولو رآك له شبيها   مضى العضب المشطب ينتضيها[5]
حياةَ مناجز ما يبتغيها   إذا شهد الكريهة يصطليها
فأرسلها دماً وهوى تليلا[6]

---

(١) جرثومة أصل .
(٢) هو أبو دجانة . كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه فى الحرب فسميت عصابة الموت ، جعل لا يلق أحداً إلا قتله بالسيف الذى أخذه من رسول الله ، وكان يشحذه بالحجارة كلما كل فما زال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه منجل يختليها يجزها أو ينزعها تشبيهاً لها بالخلا الرطب إذا فعل به ذلك .
(٣) الوحى السريع .
(٤) هند سمعها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولولت فأعرض عنها إكراما لسيف رسول الله .
(٥) العضب المشطب السيف به خطوط من أثر الضرب .
(٦) التليل الصريع .

مقتل حمزة

رضى الله عنه

أبلى حمزة رضى الله عنه فى وقعة أحد بلاء حسناً . وكان يقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم بسيفين . ويقول : أنا أسد الله . وقد أصيب ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم .

قتله وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم بن عدى . قال وحشى . إنى لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه حتى عثر فانكشفت الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته (موضع تحت السرة وفوق العانة) .

خرج النبى صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى وقد بقر بطنه ومثل به فلم يكن أوجع لقلبه الشريف مما رأى وقال ـ لن أصاب بمثلك ، وما وقفت موقفاً أغيظ لى من هذا . رحمة الله عليك كنت فعولا للخيرات . وصولا للرحم . ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء وأمر بدفنهم . وقيل إنه أمر بدفنهم بدمائهم وثيابهم فلم يغسلوا ولم يصل عليهم .

جعلت هند زوج أبى سفيان ومن معها من نساء المشركين يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن آذانهم وأنوفهم ويتخذن منها القلائد ، وقد بقرت هند بطن حمزة وأخرجت كبده فلاكتها ولم تستطع أن تسيغها فألقتها من فيها ، وكانت قد نذرت أن تأكلها إذا قتل . وقيل إن وحشياً هو الذى بقر بطنه وجاءها بكبده فأعطته ثيابها وحليها ووعدته أن تدفع له عشرة دنانير إذا رجعت إلى مكة . وجاء بها إلى مصرع حمزة فجدعت أنفه وقطعت أذنيه ، ثم جعلت من ذلك كالسوار فى يديها . وقلائد فى عنقها .

صاحبُ السيفين ماذا صنعا ؟ … ودَّع الصفين والدنيا معا

غاب عن أصحابه ما علموا … أى دار حل لـمّا ودعا

غاب عن أعينهم فى غمرة … سد غول الهول منها المطلعا

طلبوه ، وتنـــادى جمعهم … نـكبة حلت ، وخطب وقعا

يا رسول الله ـ هـــذا حمزة … أترى عيناك منه المصرعا ؟

إنه عمك إلا أذنا ـ … قطعت منه وأنفاً جدعا

إنه عمك فانظر بطنه … كيف شقوه ، وعاثوا فى المعى ؟

كبد الفارس ، ماذا فعلت … أين طاحت ؟ من قضى أن تُنزعا ؟

نذر هند هى ، لولا أنها … لم تسغها أكلتها أجمعا[1]

طفقت تمضغ من أفلاذها … علقماً مراً وسماً مُنقعا[2]

كلما همت بها تدفعها … ملء شدقيها أبت أن تُدفعا

نذرتْ يوم أبيهـا نذرها … علّها تشفى الفؤاد الموجعا

جاء وحشىٌّ فضجّت فرحا … ويك ، إن الأرض ضجت فزعا

تبذلين الحلْى والمال على … أن جناه جاهلياً مقذعا

ياله يا هند جرحاً دامياً … ضاق عنه الصبر مما اتسعا

أفما أبصرت رُكنى أحد … حين سال الجرح كيف انصدعا ؟

وأبو سـفيان ماذا هاجه ؟ … أفما يزمع أن يرتدعا ؟[3]

غره فى يومه ما غره … إن عند الغد سرا مودعا

يطعن الليث ويفرى شدقه … حين ألقى جنبه فاضطجعا

لو رآه يتحدّى نفسه … لرآها كيف تهوى قطعا[4]

يذكر العزى ويدعو هبلا … ويحه من ذاكر ، ماذا دعا ؟[5]

---

(١) ساغ الطعام وأساغه وهو أجود سهل مدخله فى الحلق .

(٢) جمع فلذة ، وهى القطعة من الكبد ونحوها والسم المنقع المربى .

(٣) جعل أبو سفيان يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه بعد قتله ويقول . ذق عقق : أى ذق جزاء مخالفتك لقومك يا عاق ـ وقد مر به الحليس سيد الأحابيش وهو يفعل ذلك فقال يابنى كنانة . هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون . فقال أبو سفيان : اكتمها عنى فإنها زلة ويزمع المراد منها هنا يريد .

(٤) تحدى الشىء تعمده ، والرجل باراه فى فعله ونازعه الغلبة .

(٥) لما قتل حمزة نادى أبو سفيان . اعل هبل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فأجبه فقل . الله أعلى وأجل ، لسنا سواء . قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار ، فقال أبوسفيان ==

أســـد الله رماه ثعلب   ياله من حادث ، ما أبدعا

أخذته عثرة مزؤودة   ضجت الدنيا لها تدعو لعا[١]

زالت الدرع فغشّى بطنه   دافق من دمه فادّرعا

حربة ظمأى أصابت مشرعا   كان من خير وبرٍّ مترعا[٢]

جزع الهادى لها نازلة   جلّتْ عليا قريش جزعا

تلك رؤياه وهذا سيفه   لا رعى الرحمن إلا من رعى[٣]

ثلمة هدّتْ من الكفر حمى   زعم الكفار أن لن يُفرعا[٤]

بورك المضجع والقوم الألى   وسّدوا فيه الشهيد الأروعا[٥]

مثّل القوم به من بغيهم   ما نهاهم دينهم أو منعا[٦]

ليس للأخلاق إلا دينُها   يؤثر المثلى ، ويهدى من وعى

=أنكم تزعمون ذلك ، لقد خبنا إذاً وخسرنا ، إن لنا العزى ولاعزى لكم ، فقال النبى الله مولانا ولا مولى لكم .

(١) مزؤودة بمعنى مذعورة ولعاً أولعاً لك . كلمة تقال عند العثرة ، وهى دعاء بالانتعاش.

(٢) المشرع المورد والمترع المملوء .

(٣) قبل خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى أحد رأى رؤيا قصها على سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهم فقال — رأيت بقراً تذبح ورأيت فى ذباب سيفى (هو ذو الفقار) ثلما ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة وأنى مردف كبشاً — فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيته فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وأما الدرع الحصينة فالمدينة . وأما الكبش فإنى أقتل كبش القوم (هو طلحة ابن أبى طلحة حامل لواء المشركين الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه) .

(٤) فرع الجبل ونحوه علاه .

(٥) الأروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته . وقيل هو الشهم الذكى الفؤاد .

(٦) ممن مثل بهم من شهداء المسلمين : عبد الله بن جحش رضى الله عنه بدعوة دعاها على نفسه قبل وقعة أحد وهى : اللهم ارزقنى غداً رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فتقول صدقت (هو ابن أميمة بنت عبد المطلب) قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ثم قتل كافرا فى وقعة أحد .

وعد الإسلام خيراً مَن عفى   إن حسن العفو مما شرعا

سائل اللائى تقلّدن الحلى   من جلود من رآها خشعا

أهى كاللؤلؤ ، أم أبهى سناً   من غواليه وأسمى موضعا ؟

بوركتْ — إنى أراها زُلَفاً   رفع الله بها من رفعا[١]

لن يفوت الكفرَ منها ذابح   لا يبالى أى جلد مزعا

يا لريب الدهر ما أفدحه   حادثاً نكراً ورزءاً مفجعا

رجع الذكر به مؤتنفاً   ولقد أشفقت أن لا يرجعا

شُغِل الأهل عن الأهل فيا   عجباً للدهر ماذا صنعا ؟

أفما أبصر إلا لاهياً   أو معنًّى بالأمانى مولعا ؟

اذكروا يا قوم من أمجادكم   ما نسيتم ، رب ذكر نفعا

---

(١) جمع زلفة وهى القربة والمنزلة .

الرُّمَاة

لما قتل أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد انهزموا وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم . فألقى نساؤهم الدفوف وذهبن إلى الجبل كاشفات سيقانهن صارخات مولولات ففارق الرماة أماكنهم ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه فتركوه وانطلقوا يبتدرون الغنائم إلا فريقاً منهم دون العشرة ثبتوا معه فى أماكنهم .

نظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقى فى الجبل من الرماة فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على هذه البقية فقتلوها ومثلوا بأميرها . وخرجت أحشاؤه لكثرة ما طعن بالرماح .

وأحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السيوف فيهم فتفرقوا فى كل وجه وانتقضت صفوفهم فاختلطوا وصار يضرب بعضهم بعضاً وهم لا يعلمون – وقيل إن مناديا منهم قال : يا عباد الله أخراكم يريد – احترزوا من جهة أخراكم فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون .

وذهبت طائفة منهم الى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت فأنزل الله (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) .

ثبت النبى صلى الله عليه وسلم لما تفرق أصحابه وصار يقول : إلى يافلان ، إلى يا فلان ، أنا رسول الله ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه جماعة من أصحابه واستمر أبو طلحة بين يديه – وكان رامياً مجيدا – ينثر كنانته ويقول نفسى لنفسك الفداء . ووجهى لوجهك الوقاء ، وما زال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه الكتوم (التى لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا .

أئن تولت جنود الشرك مدبرة … خف الرماة وظنوا الأمر قد وجبا ؟

كأنهم والرِّعان الشم تقذفهم … سيل تدفق فى شؤبوبه صببا[1]

يخالهم من يراهم ساعة انطلقوا … سهامهم حين جاش البأس فالتهبا

(١) الرعان : أنوف الجبال ، والجبال بجملتها ، والشم الطوال ، والشؤبوب الدفعة من المطر .

رَدُّوا على ابن جبير رأيه ومضوا … إلا فريقاً رأى ما لم يروا فأبى

أصابها خالد منهم وعكرمة … أمنية لم تصب من ذى هوى سببا

فاستنفرا الخيل والأبطال وانطلقا … فى هبوة تزدهى الأرماح والقضبا

هم خلَّفوا رمم القتلى مطرّحة … وغادروا الجند جند الله والسلبا

طاروا إلى جبل راس على جبل … ما اهتز مذقام من ضعف ولا اضطربا

قال الرسول فأعطاه مقالته … وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا

توزعوه ، فلو أبصرت مصرعه … أبصرت فى الله منه منظراً عجبا

طعن وضرب يعاف البأس عندهما … سلاحَ من طعن الأبطال أو ضربا

سلُّوا حشاه فطاشت من أسنتهم … تموج فى الدم يجرى حوله سربا[1]

تتابع القتل يجتاح الألى معه … لولا المناقب لم يترك لهم عقبا

تلك الدماء التى سالت على أحد … لو أنبت الدم شيئاً أنبتت ذهبا

ظلمْتَها – ما لشيء مثل رتبتها … وإن تخطَّى المدى أو جاوز الرتبا

لم يبق سهم ولا رام يُسدّده … تغيب الوابل الهطال واحتجبا[2]

وكرت الخيل تَرْدِى فى فوارسها … بعد الفرار فأمسى الأمر قد حزبا[3]

المسلمون حيارى – كيف يأخذهم … بأس العدو ، أما ردوه فانقلبا ؟

حلُّوا الصفوف وجالوا فى مغانمهم … ما ظنَّ عسكرهم شراً ولا حسبا

تنكَّرتْ صور الهيجاء واتخذت … من الأعاجيب أثواباً لها قشبا[4]

خرساء صماء تُعمِى عن معالمها … عين البصير وتُعيى الحاذق الدربا

(١) سائلا .

(٢) الوابل المطر الكثير .

(٣) ردت الفرس . رجمت الأرض بحوافرها وحزب الأمر اشتد . وهو يتعدى فيقال حزبه الأمر .

(٤) قشبا جديدة .

مُغبرّة الجو ما زال الخفاء بها ... حتى تقنّع فيها الموت وانتقبا
ترى الليوث وإن كانوا ذوى رحم ... لا يتّقى بعضهم بعضاً إذا وثبا
يعدو على مهجة الضرغام صاحبه ... ولا يجاوزه إن ظفره نشبا
هذا البلاء لقوم مال غافلهم ... عن رأى سيدهم إذ يُحكم الأَرَبا(١)
قال : اثبتوا فتولوا ، ماعصى أحد ... منهم ، ولكن قضاء واقع غلبا
أمر من الله مرجوٌّ عواقبه ... يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا
إن النبي ليمضى الأمر فى وضح ... من حكمة الله يجلو نوره الريبا
مسدد الرأى ، ما تهفو الظنون به ... الخيرما اختار ، والمكروه مااجتنبا
للسلم والحرب منه حازم يقظ ... يُعيى الدهاة ، ويُردى الجحفل اللجبا(٢)
إن الذى زين الدنيا بطلعته ... حابى العروبة فيه ، واصطفى العربا(٣)

زياد بن عمارة

رضى الله عنه

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة ، ثبت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يتلق السهام دونه ويدافع القوم عنه حتى أثقلته الجراح فسقط فأمر النبى أصحابه وقال : أدنوه منى ، فأفرشه قدمه الشريفة فمات وخده عليها .

أكان يزيد بأسك إذ تصاب ؟ ... زيادة ذلك العجب العجاب
تكاثرت الجراح ، وأنت صلب ... يهابك فى الوغى من لا يهاب

(١) الأرب جمع أربة وهى العقدة التى لا تنحل حتى تحل .
(٢) يردى يهلك والجفل اللجب الجيش الكثير العدد .
(٣) حاباه نصره واختصه ومال إليه .

قوىً تنصبُّ ممعنة حثاثاً ... والدم فى مواقعها انصباب
تردُّ المندوانيات ظمأى ... يخادعها عن الرِّى السراب
تريد محمداً والله واق ... فترجع ، وهى محنقة غضاب
زيادة دونه سور عليه ... من النفر الألى احتضنوه باب
وما بمحمد خوف المنايا ... ولا فى سيفه خُلُق يعاب
ولكن جلَّ منزلة وقدراً ... فبرَّ رجاله ووفى الصحاب
هوى البطل المغامر واضمحلّت ... قواه ، وخارت الهمم الصلاب
فتى صدقت مشاهده فظلت ... تعاوره القواضب والحراب
وهى منه الأديم ، فلا أديم ... وأعوزه الإهاب فلا إهاب
تمزقت الصحائف من كتاب ... طواه فى صحائفه الكتاب
تلقاه برحمته ، وروّت ... غليل جراحه السوَر العذاب
أيادى الله يجعلها ثواباً ... لكل مجاهد ـ نعم الثواب
أهاب محمد أدنوه منى ... فذلك صاحبى المحض اللباب
على قدمى ضعوا لليث رأساً ... أحاذر أن يعفره التراب
ففاضت نفسه نوراً عليها ... وماج الجو ، وامتدَّ العباب
عباب تنطوى الآفاق فيه ... ويغرق فى جوانبه السحاب
مضى صعداً عليه من الدرارى ... ومن بركات خالقه حباب
تلقته الملائك بالتحايا ... منضّرة تحب وتستطاب
وزخرفت الجنان ، وقيل : هذا ... مآبك ـ إنه نعم المآب

مُصعَبُ بن عُمَير
رَضِيَ اللهُ عَنه

قاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه قتالا شديداً فى هذه الغزوة . وصنع الأعاجيب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافع عنه ويقيه بنفسه ، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو يجاهد المشركين أخذه بيده اليسرى وبقى يعمل بين يدى الله ويدى رسوله . فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللواء جثا عليه وضمه بعضديه إلى صدره ثم دأب على القتال حتى قتله عبد الله بن قمئة يظنه النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى المشركين يقول : قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول : أين محمد لانجوت إن نجا . وفى رواية أن قاتل مصعب هو أبى بن خلف .

هو مُرتمَى الأبطال ، مالك دونه   متزحزح ، فاصبر له يا مصعب
ولقد صبرت تخوض من أهواله   مالا يخوض الفارس المتلبب(١)
ترمى بنفسك دون نفس محمد   وتقيه من بأس العدى ما ترهب
تبغى الفداء ، وتلك سنة من يرى   أن الفداء هو الذمام الأوجب
دع من يعضُّ على الحياة فإنه   غاو يضلّل ، أو دِعىٌّ يكذب
ما اختار نُصرة دينه أو رأيه   من لا يرى أن الفداء المذهب
ما هــذه المثل التى لا تنتهى ؟   هذا هو المثل الأبرُّ الأطيب
طاح الجهاد به شهيداً صادقاً   أوفى بعهد إلهه يتقرّب
إيمان حر لا يبالى كلما   ركب العظائم أن يهول المركب
يرسو ، وأهوال الوقائع عصّف   تذرو الفوارس ، والمنايا وُثّب(٢)
إن يضربوه ففارس ذو نجدة   ما انفكَّ يطعن فى النحور ويضرب

---

(١) تلبب الرجل للحرب تحزم وتشمر .
(٢) تذرو ترمى

كم هارب يخشى بوادر بأسه   ويخاف منه مشيَّعاً ما يهرب
الموت فى وثباته يجرى دماً   والموت فى نظراته يتلهب
سقطت يداه ، وما يزال لواؤه   فى صدره يحنو عليه ويحدب
لو يستطيع لمدّ من أهدابه   سبباً يشد به إليه ويجذب
يمناه أم يسراه أعظم حرمة   أم ساعداه وصدره والمنكب ؟
جارَى منيته ، فكل يرتمى   فى شأنه جللا ، وكل يدأب
حتى دعاه الله يرحم نفسه   فأجاب يلتمس القرار ويطلب
إن كان ذلك من أعاجيب الوغى   فالبخل بالدم فى المحارم أعجب
إنّ امرأ كره الجهاد فلم يفز   بالموت فى غمراته لمخيَّب

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب بن قمئة يقول إنى قتلت محمداً جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن كان من أمره ما كان فقال ، أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمداً . قال عمر . لا وإنه ليسمع كلامك الآن – قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر .

قال قوم من المؤمنين إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء ، وقال ثابت بن الدحداح رضى الله عنه ، يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حى لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ، وفى هؤلاء نزل قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

هال بعض المؤمنين الأمر فظلوا حيارى ولكن الله ثبت قلوبهم وحفظ عليهم إيمانهم فلم يزلوا ولم يمسكوا عن القتال .

يقول أبو سفيان أودى محمد   قتيلا ، ويأبى الشيخ إلا تماديا[١]

فلما أراد الحق أقبل سائلا   فأبدى له الفاروق ما كان خافيا

وقال له : لا يعل صوتك إنه   ليسمعه من جاء بالحق هاديا

كذلك ظن القوم إذ طاح مصعب   فراحوا سكارى يُكثرون الدعاويا

وريعت قلوب المؤمنين فأجفلوا   يخافون من بعد النبى الدواهيا[٢]

وزُلزل قوم آخرون فأدبروا   سراعاً يجرُّون الظبى والعواليا[٣]

(١) أودى هلك .

(٢) ريعت من الروع وهو الفزع وأجفل انزعج .

(٣) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبى بن سلول إلى المدينة وكانوا ثلثمائة رجل ، وكان جيش المسلمين كله فى هذه الغزوة ألف رجل . وقد بقى من المنافقين قوم آخرون فى أحد لم يتبعوا ابن أبى . قالت طائفة منهم – لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا فنزلت (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم – الآية) وقال بعضهم ، لو كان نبياً ماقتل فارجعوا إلى دينكم الأول وفى ذلك أنزل الله (وما محمد إلا رسول قد خلت==

يقولون ما نبغى وهذا نبينا   تَردَى قتيلا ؟ ليته كان باقيا

فما أقبلوا حتى انبرت أم أيمن   وقد جاوز الغيظ الحشا والتراقيا[١]

تدافعهم غضبى وتحثو ترابها   تعفِّر منهم أوجها ونواصيا

تقول ارجعوا ، ما بالمدينة منزل   يبارك منكم بعد ذلك ثاويا

أمن ربكم يا قوم تبغون مهربا   فيا ويحكم إذ تتَّقون الأعاديا

ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا   جهادا يرينا مصرع الشرك داميا

فمن خاف منكم أن يعود إلى الوغى   فذا مغزلى ، وليعطنى السيف ماضيا

لك الخير ، لو تدرين ما قال معتب   لأرسلت شؤبوبا من الدمع هاميا[٢]

جزى الله ما قدمت يا أم أيمن   من الخير تقضين الحقوق الغواليا

تطوفين بالجرحى ، تواسين شاكيا   يمجُّ دماً منهم ، وتسقين صاديا[٣]

سعى بك من إيمانك الحق دائب   يفوت المدى الأقصى إذا جدَّ ساعيا

عجبت لمن يرميكِ ماذا بدا له ؟   أطاشت يداه ، أم رمى منك غازيا[٤]

==من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم –الآية) وقال جماعة ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى ليأخذ لنا أماناً من أبى سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . والظبى السيوف والعوالى الرماح .

(١) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم وجعلت تحثوا التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم . هاك المغزل فاغزل به . وهلم سيفك – أى أعطنيه .

(٢) قيل إن معتب هذا هو الذى قال لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا . والشؤبوب الدفعة من المطر وهاميا سائلا .

(٣) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللائى كن يسقين الجرحى فى هذه الغزوة . وعدتهن أربع عشرة امرأة ، منهن عائشة وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وأم سليم . وأم عمارة المازنية ، يمج يسيل والصادى العطشان .

(٤) رماها حباب بن العرقة وهى تسق الجرحى بسهم فأصابها فوقعت وانكشفت فأغرق فى الضحك وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهماً لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم فى نحر حباب فوقع مستلقياً حتى بدت عورته . فقال النبى ، استقاد لها سعد ، اللهم استجب لسعد إذا دعاك فكان مجاب الدعوة .

ألم ير هنداً يرحم السيف ضعفها ... فيصدف عنها وافِرَ البر وافيا ؟[١]

تورَّع عنها مؤمن ليس دينه ... كدين حباب إنه كان غاويا

جزاه بها سعد إساءة ظالم ... فأمسى رسول الله جذلان راضيا

وإذ أنزل الله النعاس فأمسكت ... جوانح لولا الله ظلت نوازيا[٢]

كذلك إيمان النفوس إذا رست ... قواعده أمست ثقالا رواسيا

ينام الفتى ، والموت يلمس جنبه ... ويرجع عنه واهن الظفر واهيا[٣]

يجانبه حتى إذا جاء يومه ... فأبعد شيء أن يرى منه ناجيا

فما اسطعت فاجعل من يقينك جُنَّة ... كفى بيقين المرء للمرء واقيا

* * *

هوت من عيون الهاجعين سناتها ... ولاحت عيون الحرب حمراً روانيا

وهبَّ أمير الغيل يدفع دونه ... ويولع بالفتك الليوث الضواريا[٤]

يزلزل أبطال الكريهة مقدما ... ويصرعهم فى حومة البأس داميا

توالت جراحات الكتوم فأسأرت ... بهم أثراً من ساطع الدم باديا[٥]

تضِنُّ بنجواها وتكتم صوتها ... ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا

---

(١) هند زوج أبى سفيان ـ إشارة إلى ما كان من أمر أبى دجانة معها حين أراد ضربها وهو يظنها رجلا فولولت فعرفها وعف عنها . ويصدف عنها يميل .

(٢) أنزل الله النعاس على المؤمنين تثبيتاً لهم (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ـ الآية) فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين ، عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه فى صدره . النوازى النوازع ، أو التى تثب .

(٣) وهن ووهى معناهما ضعف.

(٤) الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . الليوث الضوارى هى الأسد والمراد الشجعان من أصحابه .

(٥) الكتوم قوس النبى صلى الله عليه وسلم . وأسأرت بمعنى أبقت .

تظلُّ شظاياها تطاير حوله ... وللرمى ألهوب يواليه حاميا[١]

هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة ... فغادرها حتَّى يرى الحق عاليا

أبا طلحة انظر كيف يرمى وجاره ... قضاء على القوم المناكيد جاريا

ويا سعد لا ترفق بقوسك وارمها ... سهاماً أصابت من يد الله باريا[٢]

ودونك فاضرب يا سهيل نحورهم ... ودعنى أصف للناس تلك المرائيا[٣]

وعينك فاحمل يا قتادة عائذاً ... بمن لا ترى من دونه لك شافيا[٤]

ألا ليتنى أدركت أم عمارة ... فألثم منها موطىء النعل جاثيا[٥]

---

(١) الألهوب الاجتهاد فيما هو الشأن . وهو من الفرس العدو حتى يثير الغبار أو يخرج من حافره نار ، وقيل إنه جمع اللهب وهو الغبار الساطع .

(٢) سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ـ قال : أجلسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته ، حتى إذا فرغت من كنانتى نثر ما فى كنانته ـ قيل إن سعدا رمى فى ذلك اليوم ألف سهم ورسول الله يقول له عند كل سهم : ارم فداك أبى وأمى ، وكان الرسول يفتخر به ويقول : سعد خالى فليرنى امرؤ خاله ـ كان من بنى زهرة قوم أمه آمنة .

(٣) سهيل بن حنيف رضى الله عنه ، بايع النبي على الموت فى أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه . وهو من المشهورين بالرماية .

(٤) قتادة بن النعمان الأوسى رضى الله عنه ، قال : كنت أتقى السهام بوجهى دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت بها إليه فلما رآها فى كفى دمعت عيناه وقال : اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك ، وردها إلى موضعها وقال : اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدها فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

(٥) أم عمارة المازنية رضى الله عنها واسمها نسيبة زوج زيد بن عاصم رضى الله عنه ، قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزموا انحزت إليه فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى جرحت ، جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف . ورؤى على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا : قالت ابن قمئة . لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى .